الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة عبد الرحمان ميرة ـ بجاية ـ

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

عنوان المذكرة

شعريـــــــة المكـــــــــــان في رواية "زهوة" للحبيب السائح ـ أنموذجـــــــا ـ

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

سعـــاد سماحي.

بـــلال صايت.

إشراف الأستاذ:

بوعلام بطاطاش

السنة الدراسية: 2014- 2015

دعـــــــــــــاء

اللّهم ارزقنا بالألف ألفة، وبالباء بركة، وبالتاء توبة، وبالثاء ثوابا، وبالجيم جمالا،

وبالحاء حكمة، وبالخاء خلانا، وبالدال دنوا، وبالذال ذكاء، وبالراء رحمة،

وبالزاي زلفة، وبالسين سناء، وبالشين شفاء، وبالصاد صدقا، وبالضاد ضياء،

وبالطاء طهارة، وبالظاء ظفرا، وبالعين علما، وبالغين غنىً، وبالفاء فلاحاً،

وبالقاف قربة، وبالكاف كفاية، وباللام لطفا، وبالميم موعظة، وبالنون نورا، والواو

وصلة، وبالهاء هداية، وبالياء يسرا، وصلّ وسلّم على سيدنا محمد وآله

الطاّهرين أجمعين.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا في إنجاز هذا العمل.

نتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان إلى الذين حملوا رسالة العلم والمعرفة .

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل والامتنان الكبير إلى الأستاذ المشرف " بوعلام بطاطاش" على قبوله الإشراف على هذه المذكرة وعلى ملاحظاته القيّمة.

إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد وأرشدنا أسدى لنا النصح والمعونة خاصة الأستاذ "سعدلي"الذي ساعدنا في إنجاز هذا البحث.

نسأل الله القدير أن يحفظهم ويجازيهم خيرا.

وإلى كل قسم الأدب العربي وطلبة تخصص علوم اللسان وإلى كل زملائنا وزميلاتنا بجامعة عبد الرحمان ميرة ـ بجاية ـ .

إهداء

السلام عليكم ، أول شيء نبدأ بشكر الله تعالى

فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى وبعد:

إلى من ندرت عمرها في رسالة صنعتها من أوراق الصبر وطرزتها في ظلام الدهر على سراج الأمل رسالة تعلم العطاء كيف يكون، وتعلم الوفاء كيف يكون إليك **" أمي ربيحة"** أهدي هذه الرسالة، جزاك الله خيرا وأمد في عمرك في كل خير فأنت نور الحياة وبريقه.

إلى كل من كلّله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أرجو من الله أن يمدّ في عمره ليرى ثمارا اقترب قطافها بعد طول انتظار، وستبقى كلماته نجوما أهتدي بها اليوم وغدا وإلى الأبد **" والدي نصير"**.

إلى جميع إخوتي: **مروان، يوسف، حسام، عبد الرزاق.**

إلى كل عائلتي: جدّتاي **" الطاوس"و"بهيجة"** وإلى كل أعمامي وعماتي خاصة عمّتي **"نورة"** وأولادها بالخصوص رفيقة الروح **"صافيناز"**

إلى جميع أخوالي وخالاتي وأولادهم خاصة **"نهلة" و"حياة"**.

إلى أختي وحبيبة قلبي ورفيقة دربي، وزهرة ربيعي **" مريم رضوان"**

إلى صديقاتي : **سعاد، لندة، فاتن، أحلام، سارة،وفاء، وهيبة، وحيدة، رفيلة، كنزة، الويزة وأخواتها** .

إلى أصدقائي: **نسيم، أنس، سفيان، أمين، خالد، سامي، كُسيلة.**

إلى من تقاسمنا هذا العمل **"بلال"**، وإلى جميع جيراني بحي المحجر **"خراطة"** وإلى كل أصدقائي بالإقامة الجامعية **"الرياحن"**.

سعاد

إهداء

أهدي ثمرة جهدي

إلى منبع الحب والحنان أمي

إلى من احمل اسمه بكل فخر واعتزاز أبي

إلى أخي عادل وأخواتي

وبنات أختي شيماء، مريم، والكتكوتة هاجر

إلى كل أفراد العائلة صغيرهم و كبيرهم

إلى كل كل الأساتذة الذين تتلمذت على أيديهم

إلى كل الأصدقاء و الزملاء الذين مدوا لي يد العون في إتمام هذا البحث

و إهداء خاص إلى الأستاذ مرزوق علي

بلال

مقدمـــــة

لامناص من أن الروية أكثر الأجناس حساسية اتجاه المجتمع، كونها مرآة عاكسة له فالاهتمام بدراسة الخطاب الروائي يأتي على رأس قائمة الدراسات النقدية، التي تعتني بالرواية، بل إنه صلب العملية النقدية وهو المحك الحقيقي والباب الرئيسي الذي يدخل منه العمل الروائي إلى عالم الرواية، وهذا ما أكسبه قابلية للتحليل فهو بنية تضم مكونات تخضع لقوانين تنظم علاقات ببعضها البعض، وكانت هذه المكونات تأتي على هذا النحو من التماسك والتعقيد فإنه يصعب الفصل بينها فصلا تاما بكيفة تحقق للبحث أهميته وأهدافه وغايته، غير أن هذه الضرورة العلمية تفرض هذا الفصل الإجرائي و المنهجي بهدف كشف هذه الجوانب وإبراز تفاعلاتها الدلالية والجمالية، ومنه تعددت الدراسات النقدية للخطاب الروائي بتعدد مكوناته، فجل الاهتمام قد انصب على دراسة العمل السردي الشخصيات والزمن ...،ومهمشين المكان وإبعاده عن الدراسة النقدية والتحليل الأدبي .

ولقد كان اختيارنا لهذه الدراسة للجمع بين المكان والرواية، كون هذه الأخيرة هي الممثل الوحيد للمكان بكل تجلياته، بحكم قرابة الرواية من الواقع، وبهذا فإنها هي والمكان يشكلان قرينة لا تكاد تفترق، فلتؤسس هيكلها وعالمها وتشد أواصر العلاقة بين العناصر الأخرى وجب عليها الاحتكام إلى المكان وتعوّل عليه في تجسيد الروابط أو الواقع الذي يعطي للخطاب الروائي قيمته وواقعيته، وبهذا تقبله هي بإظهار صوره ومظاهره ودلالته ووظائفه، فكلاهما يشكلان الغاية والوسيلة اللتان لا تتشكلان إلا باتحادهما معا.

زد عن ذلك فإن الرواية والقصة أكثر انتشارا إذ تمثل من الناحية الاجتماعية اتصالا فعالا بين الأوسط الأدبية والجماهير .

وبما أنه مفهوم هذا الموضوع صعب التحديد وغامض، يتجلى في ملامسة المكان وخصوصيته في الرواية المعاصرة والتي من خلالها يتم تحويل المكان إلى مادة فنية ومما لاشك فيه أن ما يميز الكتاب عن بعضهم هو الجانب الفني والجمالي الذي يتحقق بحسن التصوير واللغة والأسلوب بالإضافة إلى الفكرة والخيال....الخ وكل هذه الخصائص تتفاوت من كاتب لآخر .

ولهذا جعلنا من عنوان مذكرتنا حول "جماليات المكان في الرواية " وبالتحديد رواية "زهوة للحبيب السائح " محاولين في ذلك استخراج المكان ودلالته، على الرغم من استحالت الفصل بين المكان وباقي العناصر الأخرى في الرواية فاقتضت الضرورة بالإلمام بكل العناصر، وأعطينا الأفضلية للمكان على باقي العناصر الأخرى.

فكانت إشكالية الموضوع تتلخص في جملة من التساؤلات أبرزها:

- ما هي تجليات المكان في رواية زهوة؟
- كيف وظف الحبيب السائح المكان فيها؟
- كيف للمكان أن يساهم في بناء الخطاب الروائي؟
- كيف تتمظهر جماليات المكان في الرواية العربية؟

وعن الدراسات السابقة التي تناولت موضوع المكان، وكانت زادا لهذا البحث نذكر "جماليات المكان" لغاستون باشلر، "مشكلة المكان الفني" ليوري لتمان، "أشكال الزمان والمكان" لباختين ميخائيل، "جماليات المكان " لشاكر النابلسي، "بنية الشكل الروائي " لحسن بحراوي وغيرهم.

وفي دراستنا هذه كان اعتمادنا على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج الوحيد الذي يحيلنا إلى الإلمام بكل عناصر الخطاب الروائي وتفكيكها وتحليلها والتعريج عن علاقاتها ببعضها البعض وكشف طريقة تنظيمها وإنشائها داخل الخطاب الروائي، باعتباره نص مفتوحا،قابلا لتعدد القراءات، مما سمح لنا بقراءة المكان قراءة جديرة به، وإعطائه علاقات دلالية تأويلية وجماليات مختلفة في بحثنا.

واقتضت طبيعة دراسة بحثنا إلى تقسيمه لفصلين، أولهما نظري والثاني تطبيقي، وخاتمة مستهلين بمدخل حاولنا فيه رصد خطوات الرواية العربية .

أما الفصل الأول فكان نظريا تحت عنوان المكان في الخطاب الروائي، فقدمنا مفهوما للمكان، لغة واصطلاحا، وانتقلنا شعرية المكان في الرواية واختلاف تسمياتها لدى النقاد ثم

الوصف والمكان، إلى أن وصلنا إلى أهمية المكان في الخطاب الروائي، محاولين بهذا إعطاء الهوية لهذه الخصائص المتعلقة بالمكان ورفع الإبهام والغموض عليها .

وقد تبع الفصل الأول فصل ثاني تطبيقي تحت عنوان أنواع الأمكنة، ودلالتها في رواية زهوة ، حيث تناولنا فيه دراسة في التصميم الخارجي للرواية ثم ملخص الرواية، وعرّجنا على الأمكنة في الرواية وذكرنا أيضا دلالات المكان علاقاتها بالشخصيات.

أما الخاتمة فقد تمحورت حول مجموع النتائج التي توصلنا إليها وهي عبارة عن حوصلة جهودنا حول هذا الموضوع.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا، هي قلة الدراسات حول هذا المكون الروائي- المكان- وعدم اهتمام الدارسين به كسائر العناصر الروائية الأخرى، وعدم افتقاره لنظرية متكاملة، ناهيك عن ضيق الوقت الممنوح نتيجة الإضراب الذي أخلط الأمور، بالإضافة إلى كثرة الأمكنة وتنوعها، والتي فرضت علينا دراستها بالتفصيل والدقيق.

مدخـــــــــل

تعدّ الرّواية تشكيلا من الحياة، ويعتمد هذا التشكيل على حدث الناس من خلال شخصيات متفاعلة الأحداث مع الوسط الذي تدور فيه حاجيات الإنسان منتقلة إلى رواية الأحداث الذي تقع له، فنشأة الرواية في الأدب العربي مرتبطة ارتباطا وثيقا و مباشرا بالأوضاع السياسية و الاجتماعية و الثقافية في العالم العربي خاصة مصر، وبعد العصر العباسي وبداية الحكومة العباسية و بعده في القرون الثلاثة التي سيطر عليها الحكم التركي على مصر "أغلقت المدارس و هدمت وانتهت .....وتعطلت الحركة الأدبية ،بل تحجّرت وانحرفت اللغة، بل فسدت.... ومن هنا أصبح الأدب في حالة من السقم تقارب الموت فكانت تمثله نماذج نثرية و شعرية، ليس وراءه أي صدق إحساس أو فتية التعبير....وقد كانت أغلب النتائج الأدبية لتلك الفترة تدور حول المدائح الدينية و الأمور الإخوانية و المراثي الباردة و المواعظ المباشرة "[1]

بعد هذا الركود جاءت فترة اليقظة، وهي الفترة التي تبدأ "بتلك السنوات التي شهدت خروج البلاد من ظلمات العصر التركي لتفتح عيون هذه الأخيرة على نور الحضارة الحديثة ولتأخذ عن طريقها في موكب المدينة المتقدمة ....ومن الممكن تحديد تلك البداية بسنوات العملة الفرنسية"[2]أي من سنة 1789إلى 1801أي أواخر القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر.

والرواية كشكل أدبي متطور كانت نشأتها بفعل الاحتكاك بالأدب الغربي وثقافته، ومن بين هؤلاء نذكر فرح أنطوان،وجورجي زيدان، وحسين هيكل وخاصة في رواية "زينب" التي تعدّ البداية الحقيقية، حيث أرسل محمد علي البعثات إلى أوروبا، ليقوم أبنائها فيما بعد بمطالبة الجيش، ولتدريس في تلك المدارس....وقد تعدّدت المدارس وتنوّعت ،وهكذا كان أوّل لقاء عملي بين المصريّين والثقافة الغربية في العصر الحديث

[1]عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة، دار المعارف القاهرة،ط3، 1976،ص13.

[2]أحمد المتوكل،تطور الأدب الحديث في مصر"من أوائل القرن 19إلى قيام الحرب الكبرى الثانية،"دار المعارف، القاهرة،1994،ص19.

... عدا هؤلاء المبعوثين بعلم جديد وعقلية جديدة إلى بلادهم ...وترجموا وألّفوا وخطّطوا ووضعوا أساسا للثقافة الأدبية الحديثة .[1]

ونتيجة هذا التأثر خطا النّثر خطوة أبعد من الأغراض الساذجة، وأصبح يحمل أفكارا و من بواكر هذا التقدم كتاب رفاعة الطّهطاوي"تلخيص الإبريز في تلخيص باريز"الذي تحدّث فيه عن رحلته إلى باريس ويعتبره "الباحثون البذرة الأولى للرواية التعليمية في الأدب الحديث".[2]وقد كان لفرح أنطوان رواية في نفس الشّكل كان مجالها "المشاكل الاجتماعية اختيار علي مبارك مجال الرّحلة أيضاً لجهوده وكتابه أكثر جفافاً من كتب الرّحالة العرب القدماء .....فكانت ذو طابع تعليمي تخيلي ولم يكن التّعلم هو القصد الوحيد .ولكنّه حاول المقارنة بين بعض العادات الشّرقية والغربية".[3]

ومن خلال هذا ذاع صيت الرّواية في مختلف أقطار البلاد العربية مقتبسة أو مترجمة وامتازت بالغنى و التّطور متّخذة مسارات متعدّدة مواكبةً تطوّر المجتمع العربي حيث زاد انتشار التّيار العلمي في بداية القرن العشرين، فكل رواية من روايات جورجي زيدان تحتوي على «عنصرين أساسيين الأوّل تاريخي يعتمد على الحوادث و الأشخاص، والثاني عنصر خيالي يقوم على علاقة غرامية بين محبّين".[4]فكانت الرّواية التّعليمية تخاطب في عمومها تلك النّخبة من المثقّفين المصريّن لأهداف التّعليم والإصلاح في المجتمع عن طريق النّقد الاجتماعي المتأثّر بالعلوم الغربية، في حين أنّ الرّواية ما بين التّعليم و التّرفيه تأخذ جانباً آخر في نقل الرّواية من الأحداث التاريخية إلى إرضاء ميول الجماهير وأذواقهم "فنجد طائفتين كبيرة من المصريّين يستطيعون القراءة لكن هم لا يتمتعون بقدر مناسب من الوعي يدفعهم إلى التّنبيه للمشاكل الحقيقية ".[5]فتكون وظيفة القراء هنا مقتصرة على تحقيق حاجاتهم إلى التّسلية وإلى نسيان هموم الأمّة.

---

[1] عبد المحسن طه بدر،تطور الرواية الحديثة ص27.

[2] المرجع نفسه ص38-39.

[3]أحمد هيكل،تطور الأدب الحديث في مصر،ص69.

[4] المرجع نفسه ص191.

[5] أحمد هيكل:تطوّر الأدب الحديث في مصر ص121.

قد تختلف الرّواية الفنّية في عدّة مسائل عن الرّواية غير الفنّية "و لكن الأساس التّفريق بين الرّواية عن غيرها تنحصر في اتّجاه الرّواية الفنّية إلى الواقع و لا تعتمد على الوهم والإسراف في الخيال وهي أيضاً تحترم التّجربة الذّاتية الإنسانية ولا تعتمد على الأساطير والتاريخ القديم "[1]

كما كان للرّوائيين محاولات في ابراز الشّخصية المصرية من خلال رواياتهم فمثلاً رواية "زينب" لمؤلفها محمّد حسين هيكل، إذ حاول من خلالها أن يرسم للقارئ حالة القربة التي لا تعترف بمشروعية الحبيبين الرّجل و المرأة ولكن التّقاليد هي التي ترسم خطوط العيش، وما على النّاس إلا أن يستسلموا لهذه التّقاليد القاسية وهو في هذه الرّواية تأثّر كثيراً بالأدب الفرنسي فيكون هيكل بهذا قد نجح في روايتي "التّعليم" "والتّسلية" فقدم رواية فنيّة واقعية في زاوية من الحياة الرّفية تدور فيها الأحداث بمعزل عن الواقع...فقد استطاعت رواية زينب أن تأخذ العديد من الأعمال الرّوائية التي أتت بعدها".[2]

ونجد طه حسين في كتابه الأيام يصور لنا قلق البطل وهو يمثل الكاتب، بلا شك رغم نفيه لهذا القول، في –مقدمته –"حيث يصور عجز البطل وهذا العجز ليس عجزا عاطفيا فحسب وإنما هو عجز عن إحراز أي نصر في المجتمع" .[3]وهو بذلك يجسد أزمات القصر في أزمة عاطفية.

كما يحتل نجيب محفوظ مكانا فريدا في تاريخ الرواية العربية، وقد " لعب دورا في تطورها لا يمكن يناح للآخر ويقف على رأس الجيل الثالث".[4]ومن كتاب الرواية في الجيل الثاني نجد عادل كامل السباعي.

---

[1] المرجع نفسه ص207.

[2] السعيد يومي الورفي اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ،دار المعرفة، الإسكندرية، (دط)، سنة1982، ص40،41

[3] طه وادي، مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 1997، ص46.

[4]فاطمة موسى، الأعمال الكاملة، في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1997. ص40.

تعتمد الرواية كأي جنس أدبي على عناصر تحددها مما يجعل منها تعالج المشاكل في حياة أو تصور الحياة الإنسانية، ونجد من هذه المقومات:

ـ **الحدث:** وهو يرتبط بالشخصيّة في الأعمال الرّوائية كالارتباط العلّة بالمعلول تشكّله الشّخصية بحسب حركاتها نحو مسار معيّن وهذه الحركة تقدّم لنا تجربة إنسانية.[1]

ـ**الشخصية:** وهي الكائن الذي يتحرّك في سياق الأحداث، وقد تكون الشّخصيّة من "الحيوان"، فيستخدم عندئذ كرمز.

– **الشّخصية النّامية:** " تنمو بنمو الحدث وتقوم بمراحل أثناء تطوّر الرّواية".[2]

– **الزّمن:** هو تدرّج العمل السّردي في الرّواية وهو من العناصر الأساسية فيها.

– **الحوار:** هو «جزء من البنية العضويّة للرّواية، وعامل من عوامل الكشف عن أبعاد الشّخصيّة".[3]

[1] ينظر طه وادي دراسة في نقد الرّواية دار المعارف،القاهرة،ط2، 1994،ص28.

[2] عزيزة مريدن، القصة و الرواية، دار الفكر، بيروت،دط،1980،ص28.

[3] عبد الرحمان الشرقاوي، دراسة في الأدب، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، دط،1995، ص227.

الفصـــــل الأول

مفهوم المكان :

تعد دراسة المكان كعنصر بنائي يساهم في تشيد الرواية ضرورية لكشف و معرفة خصائص هذا الفن و ما يميزها من روائي إلى أخر,و يعتبر المكان عنصر من عناصر البناء الفني سواء في الأعمال السردية كالرواية و القصة أو الأعمال المشهدية كالسينما و الفن التشكيلي .

أ- المكان لغة:

جاء في لسان العرب أن"المكان و للمكانة واحد ...والمكان الموضع ,و الجمع أمكنه و أماكن جمع الجميع ، قال ثعلب : يبطل أن يكون مكان معادلا، لأن العرب تقول,كن مكانك ، قم مكانك، و قعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان، أو موضع منه"[1]و باعتبار المكان ذو أهمية في صياغة الكائن حيث تتجلى هذه الصياغة المكانية في التجربة اليومية على صعيد اللغة و السلوك، فان الأمر يفترض مقاربة على أكثر من صعيد .

وهناك من يعرفه على أنه "الموضع الثابت المحسوس،القابل للإدراك الحاوي للشيء المستقر و هو متنوع شكلا و حجما و مساحة، أن الأمكنة شكل من أشكال الواقع,و أصبحت مكونا من مكوناتها"[2]

والمكان كمفهوم "هو المكان الطبيعي و المكان الحقيقي في الواقع الخارجي المحسوس و هذا المكان لا علاقة له بالمكان الروائي، لأنه الموضع الحقيقي الثابت الجامد"[3]

[1]- ابن منظور :لسان العرب، مادة (مكن)، ص113

[2]- ايوب بن موسى الحسيني الكوفي:الكلمات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، تر:عدنان درويش ومحمد المصري،

[3]- سمير روحي الفيصل ، بناء الرواية العربية السورية ، منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق، ط1995،1،ص251

ب ـ اصطلاحا:

و قد جاء في تعريف النقاد و دارسي الآداب عن الأدب أنه مسرح لأحداث الرواية و يحمل دلالات كثيرة فهو عبارة عن فضاء تتحرك فيه الشخصيات و تقوم بأدوارها، و تعبر عن واقعها إما حقيقيا أو رمزيا، فهو يحمل معاني أخرى يريدها السارد دون سواه

اهتمت النظريات الحديثة و القديمة بالمكان كونه يكتسي أهمية بالغة في الإحساس بمرور الزمن، و هو من أهم المحاور الروائية المؤثرة في إبراز فكرة الكاتب و تحليل شخصياته من الناحية النفسية، لأن إدراك الإنسان للمكان مباشر حسي و يعد هذا الأخير من بين مكونات الخطاب، فهو يمثل العنصر الأساسي الذي يتطلبه الحدث، و كذا الشخصية في الوقت نفسه

إذ أننا لا نستطيع تصور حدث يقع في الفراغ، و حتى يكتسي هذا الأخير مصداقية "لابد من مكان يجري فيه و ما دامت الأحداث و تغيراتها تقتضي تعدد الأماكن و تنوع تجلياتها بحسب التيمات التي تتوالى في الحكاية"[1]

والمكان أيضا"ما يسمى القصة المكانية و المقصود بها المساحة التي تجري فيها أحداث و وقائع القصة فهي إذن مكان حدوث القصة أو هي عناصر تتمثل و تمثل في الموضع الجغرافي الذي يمكن أن يكون مساحات خضراء أو بيوتا، فللمكان أهمية لا تختلف عن أهمية الزمان و الشخصيات، إذ تتعاضد هذه العناصر جميعا لبناء الحكاية، لأنه لا يمكن أن نتصور أحداث تقع خارج المكان، بل لابد أن تقع في فضاء مكاني حقيقي أو يصوره الكاتب بواسطة اللغة"[2]، في خضم كل هذا فإن له علاقة بالإنسان كونه أكثر وعيا بالمكان الذي عاش فيه و يحمل فيه من الذكريات و التاريخ و الممارسات المختلفة إلى غير ذلك من العلاقات التي تقيد هذا الإنسان و تربطه بها ارتباطا وثيقا.

أما بالنسبة للمنظرين الغربيين في هذا الحقل فنجد غاستون باشلار في كتابه جماليات المكان قد اعتمد على الفلسفة الظاهرية، حيث ربط بشكل مباشر علاقة الإنسان بالمكان، في نظره مجرد رقعة جغرافية اكتشف جمالياته الكامنة في الخبرة الإنسانية و تجارب الحياة

[1]ـ حسن نجمي:شعرية الفضاء التخيل في الرواية العربية، ط1،المركز الثقافي العربي، لبنان، 2000،ص18
[2]ـ إدريس بودية،الرؤية في رواية الطاهر وطار،ط2000،1،ص112

المختلفة، فغاستون باشلار حينما يتحدث عن المكان و علاقته بالإنسان إذ يقول"إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية و حسب، فهو قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب حوله لأنه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحماية، في مجال الصور الكاملة لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج و الألفة متوازية"[1]، فالنص الروائي لا يحمل أبعاد هندسية فحسب بل يتجاوز ذلك فيحمل قيما سوسيو نفسية و فنية، بحيث يدفع الأفراد للتذكر و التخيل إذن هو ليس حيزا جغرافيا هندسيا فقط، إنما هو حامل تجربة إنسانية تعيش في ذاكرة كل إنسان يتذكرها من حين لآخر، و يجسدها المبدع في كتاباته في كل أبعادها.

أما جوليا كريستيفا فقد قدمت تصورها للمكان في النص الروائي باعتباره موقف أو رؤية تقدم فيها المشاهد المتنوعة و المختلفة، وفق تصور الكاتب أو الراوي الذي يعمل على إحداث تأثير مباشر و مقصود على المتلقي، و ذلك باعتماده على طريقة العرض(عرض المكان في النص) عبر الخطاب الروائي.

جاء مفهوم المكان عند الناقد ياسين النصر على أنه"الكيان الإجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان و مجتمعه، لذا فشأنه شأن أي انتاج اجتماعي آخر يحمل جزء من أخلاقه و أفكاره ووعي ساكنه"[2]،وبهذا تكون علاقة الفرد والمجتمع علاقة اخذ وعطاء فالمجتمع، يصور القيم ويرصد تحركات الإنسان فيه.

كما ورد مفهوم المكان عند بعض الفلاسفة أمثال أرسطو، الذي تصور المكان على انه الوعاء الذي يحوي الأجسام لكنه لا يختلط بها ويعرفه بقوله:"إنه الحد المتحرك المباشر الحاوي من الجرم الحاوي المماس لسطح ظاهر للجسم الموحي"[3]

ولقد استفاد الفلاسفة المسلمون من فكرة "أرسطو"في إقراره لوجود المكان وعدم تأثره بالأجسام المتمكنة فيه، حيث يضيف الكندي إزاء فكرة المكان فيقول«إنه إذا زاد الجسم أو

[1]ـ ديوان ابن الرومي،شرح الأستاذ احمد حسن بنسخ،دار الكتب العلمية ،بيروت،ج3،ط1994،1،ص14

[2]ـ الشريف حبيلة،بنية الخطاب الروائي،دراسة في روايات نجيب الكيلاني،علم الكتاب الحديث،ط1،عمان، 2010 ص190.

[3] - حنان محمد موسى حمودة : إشراف يوسف بكار،الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، احمد عبد المعطي نموذجا، بدار الكتاب العالمي، عمان، الأردن،2006،ص18.

نقص أو تحرك، فلا بد أن يكون ذالك الجسم في شيء أكبر من الجسم،ويحوي الجسم ونحن نسمي ما يحوي الجسم مكانا »[1] ،وفي الموضع ذاته نجد الفارابي ينهل من فكرة أرسطو ويقتدي من موقف "الكندي "في مفهومه للمكان، وإقراره بوجوده إذ يرى أن لكل جسم طبيعي مكان خاص به يلجأ له وينجذب إليه .

ويقول ماهر عبد القادر عن المكان لقد تم تصور المكان المطلق على أنه يبقى دائما متشابه لذاته، وغير متحرك ولا يمكن تغيير ترتيب أجزاء المكان متحركة من مكانها هو أن نتصور محلاّ place: " تتحرك بعيدا عن ذاته" [2]

2- شعرية المكان:

تعد الرواية من الأجناس الأدبية التي لا تخضع لأية قيود، كما هو الحال بالنسبة للشعر الذي يعتمد في نظمه على موسيقى الكلمات وجمالياتها بنسبة كبيرة، إلى أن الرواية الحديثة استطاعت أن تستقي من نظيرتها – الشعر – شعريته، وانصهرت في نسيجها مما أضفى عليها جمالية مؤثرة، وفي القابل فإن الشعر هو الأخر قد تأثر بالسرد الذي أكسبه عمقا وبهذا فإن الحديث عن الجمالية في المكان الروائي، يستوجب علينا أن نعرج على مفهوم الشعرية في الإبداع الأدبي، فقد صار لهذا المصطلح حظره اللافت في الكثير من الدراسات النقدية المختلفة، باختلاف مسمياتها، فبعض الدارسين مثلا يستخدمون"جماليات المكان" تارة و"شعرية المكان" طورا أخر، كما جاء كتاب "غاستون باشلر"[3]

ولكن من الخلط الشائع في جعل الشعرية والجمالية في مصطلح واحد، وهذا ما يؤكده الناقد حسن ناظم فيقول "إن لمصطلح poetics –الشعرية – مقابلات تنوعت واشتدت في مساحة الاشتغال النقدي للتعبير عن مفهوم واحد، بمصطلحات متنوعة في النقد العربي أو مفهومات عدة لمصطلح واحد في النقد الغربي، تتقارب وتتباعد تبعا للعصر والمنهج الذي يتبعه هذا الناقد أو ذاك، كما فرضت عليه إرغامات كثيرة، أسهمت في تعددها فصار لدينا

[1]- المرجع السابق، ص19.

[2]-عبد القادر، محمد علي، فلسفة العلوم، المشكلات المعرفية، (د. ت)، (ر،ط)، ج13، ص145 .

[3] - حسن نجمي:شعرية الفضاء التخيل في الرواية العربية، ط1، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2000ص6

الشعرية الإنشائية، الشاعرية الأدبية، علم الأدب، الفن الإبداعي، فن النظم، فن الشعر، نظرية الشعر، بيوتيقا، بيوتتك"[1]

ورغم كل هذا فإن الدراسات الشعرية في النقد الحديث لم تولي اهتماما بتخصيص أية مقاربة وافية مستقلة للمكان الروائي فقد همش بالرغم من تبلور الوعي الأدبي في الفترة الأخيرة فقد صب الاهتمام بمنطق الأحداث و وظائف الشخصيات وزمن الخطاب وبهذا إلا بوجود النظرية للمكان الروائي"[2]

وهذا راجع إلى طبيعة المكون الروائي الذي لم تؤطر حدوده لمنهجية واضحة في الأبحاث وعلى عكس ما كان للزمن الروائي الذي أعطى له الشأن كما يقول "هنري متران" في قوله لأوجد لنظرية مشكلة من فضائية مكانية و لكن هناك فقط مسار للبحث مرسوم بدقة كما توجد مسارات أخرى على هيئة متقطعة "[3]

وأمام هذا فإن الناقد حميد لحميداني يؤسس بذلك موقفه بقوله " أن الأبحاث المتعلقة بدراسة الفضاء الحكائي قليلة مما يؤكد أنها أبحاث لا تزال فعلا في بداية الطريق، ثم عن الآراء التي تجدها حول هذا الموضوع هي عبارة عن اجتهادات متفرقة لها قيمتها و يمكن إذا تراكمت أن تساعد على بناء و نمو متكامل حول هذا الموضوع) حيث أنه يرجع السبب في كل هذا لعدم الإهتمام بالمكون الروائي حسب رأى هنري متران "[4].

غير أن الطبيعة غير مضمرة للفضاء أو على الأقل الخاصية الغير طبيعية لنظام معين من الأمكنة و لصفاتها الفضائية لوحدات بخلاف الشخصيات أو المراحل الحديثة للفعل" لقد انشغلت السرديات من جهتها بدراسة مقولات المحكي بصيغ إحداثها، بالأولويات أي أننا حينما نبحث عن تجليات الفضاء في النصوص الأدبية روائية كانت أو غيرها نجدها حاضرة بشكل من الأشكال، مضمنة أو موصوفة أو متأملا فيه، فيصبح بذلك كل نص فضاء"[5]،

---

[1]- حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج، المركز الثقافي والعربي، بيروت، لبنان، 1994،ص15- 16

[2] - حنان محمد موسى حمودة : إشراف يوسف بكار،الزمكانية وبنية الشعر المعاصر

[3]- حميد لحميداني: بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2000،ص53.

[4]- حسن نجم: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، مرجع سابق،46.

[5]- حسن نجمي، شعرية الفضائي المتخيل و الهوية في الرّواية العربية، مرجع سابق، ص46

فالفضاء حسب حسن نجمي " شبكة من العلاقات و الرؤى و وجهات النظر التي نتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي تجري فيه الأحداث" والفضاء لا يقتصر على مفهوم واحد، كونه شبكة واسعة تحيد بالبنيات المكانية علاقاتها مع باقي العناصر الأخرى.

2- الفضاء:

2-1 مفهوم الفضاء:

المكان الواسع من الأرض، و الفعل فضا، يفضو، فهو فاض أي المراد الذي لا شيء فيه كما قال ابن منظور.

ومن جهة أخرى فقد بسط " الفيروز أبادي" اللفظ في معنى الفعل الثلاثي"فضا" فقال "فضاء المكان فضاء و فضوا كأنه اتّسع"

أما الفضاء باعتباره مفهوم أو مصطلح، الذي يشمل الأشياء المادية وما تحتويها ليتسع فيستغرق جميع الأمكنة، وبهذا نجد كثرة استعماله كونه يشير إلى ما هو أبعد من التحديدات الجغرافية، فيصبح أداة قوية للمعرفة بوصفه شيئا ذهنيا، أي بوصفه شكلا قبليا فيه كل مسافة متخيلة إذن مفهومه يتجاوز المحدود و الحدس و الجغرافي ليعانق التجلي.

2-2- الفضاء الجغرافي:

وهو الحيز المكاني الذي يؤطر الرواية بالضرورة، حيث ثمة حد أدنى من الإشارات الجغرافية في كل رواية، مما يجعل من القارئ يتصور الحيز الجغرافي الذي تنتجه حكاية الرواية.

حيث أنه محدد جغرافيا له عدة سمات و خصائص تميزه عن غيره من الأمكنة، وهو مقابل لمفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته، ويتحرك فيه الأبطال والشخصية.

2-3- فضاء النص:

وهو الحيز الذي تشغله الكتابة باعتبارها أحرف طباعية على مساحة الورق و يشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف و وضع المطالع و تنظيم الفصول، و تشكيل العناوين و الرسومات الفنية المرفقة لها، و طول النص و قصره، و بناء الجملK و استعمال الهوامش، و غيرها من التقنيات التي تعطي للخطاب أهميته.

2-4- الفضاء الدلالي:

و يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة كي ما ينشأ منها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام .

2-5- الفضاء كمنظور:

ويتمثل في الطريقة التي يهيمن بها الروائي أو الكاتب على عالمه الحكائي، بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح.

فوجود الفضاء مرهون أساسا بوجود الأحداث و الشخصيات و جميع العناصر الأخرى فهو لا يشد إلا على أساس مجموعة متنوعة من القوى الفعالة من استقرار، اختراق، بناء، رحيل و تشبث مع ممارسات متنوعة على صعيد العلاقات الإنسانية.

2-6- الفضاء الروائي:

لقد استُخلص معنى الفضاء على أنه المكان بالمعنى الأكثر تجريدا، الذي تتوزع فيه العلامات في آن واحد و تتم العلائق هناك، حين يكون الفكر بحاجة إلى مدلولات فضائية، تفصلها عن بعضها البعض أكثر، مما جعل اهتمامها بالتمثيلات التي تكوّن المادة و تكوّن بنيتها الخاصة.

كما نجد أن الفرنسيان " جورج بولي و جيلبير دوران"[1] قد رعيا إلى دراسة الفضاء الروائي لذاته و لا يقوما بتحليل الروابط التي تجمع بين الفضاء الروائي ومجموع المكونات الحكائية الأخرى، أما "رولان بورنوف" في كتابه " العلم الروائي"[2]، فقد حاول أن يملأ الثغرة التي تركها "بولي دوران" حيث تساءل بصدد الضروريات الداخلية التي يخضع لها التنظيم المكاني في الرواية مقترحا علينا أن نصف بطريقة دقيقة طبوغرافية الحدث و أن نحلل وظائف المكان، وظائف الوصف فيه لتبين علاقاته بالشخصيات و المواقف و الزمن. غير أننا نجد بأن الرواية الحديثة " قد جعلت من مكان حكائي أساسي ضمن المكونات الروائية الأخرى

[1]- حسن البحراوي، بنية الشكل، المرجع السابق، ص25

[2]- المرجع نفسه، ص26

مما جعل الدراسات الشعرية للمكان تنظر إليه نظرة جديدة، مما أعاد إليه فصوره على مستوى التحليل و البحث إعطائه تعريفا دقيقا مع تحديد الدلالات التي ينهج بها داخل السرد"[1].

فالفضاء في الرواية ما هو إلا امتداد للقوى الفاعلة (الشخصيات)، فدلالة الفضاء من دلالة هذه الأخيرة و ديناميكية منها و بهذا يتوقف عليه الفعل الروائي نفسه، مجسدا فيه العلاقات والوعي الاجتماعي والثقافي، وهو يتميز عن غيره من الفضاءات كالمسرحية و السينمائية و غيرها لكنه لا يختلف عن المكونات الأخرى للخطاب الروائي حيث أن اللغة هو المدخل الأساسي لقراءة الفضاء و بقوة اللغة يتجسد فهم الفضاء الروائي.

وهنا لا يمكن الحديث عن الفضاء إلّا بمعرفة وجهة نظر السارد الروائي، لكي يبقى مثله مثل كل فضاء فني يبين أساسا على تجربة جمالية، معتمدا على اللغة الراقية التي تعمق من جماليات الفضاء، منه إلى الرواية.

3- الوصف و المكان:

يلعب المكان دور مهما في الرواية، فعلى الرّوائي أن يرسم لنا لوحة عن الأماكن التي تدور فيها الأحداث، و تتحرك فيها الشخصيات و قد يكون المكان المرسوم إما مأخوذا من الواقع المعاش أو من محض مخيلة الروائي، فالمهم هو أنه يحدد لنا ذلك المجال الذي هو بمثابة خشبة المسرح التي تؤدي الشخصيات عليها أدوارها، و هذا ما جعل للأدب عدة أساليب مختلفة في تحديد هذه الأمكنة، فنذكر من بين هذه الأخيرة أسلوب الوصف.

3-1- تعريف الوصف:

يقر النقاد بصعوبة وضع تعريف دقيق للوصف، غير أن هناك بعض التعاريف و من بينها: تعريف قدامى بن جعفر في كتابه نقد الشعر" الوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال و الهيئات و لما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضرب المعاني،

[1]- حسن البحراوي، بنية الشكل، المرجع السابق، ص27

كان أحسنهم من أتى شعر بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بإظهارها فيه و أولاها حتى يحكيه بشعره و يمثله بنعته"[1]

فالوصف من بين الأساليب الإنشائية، فهو يتناول ذكر الأشياء في مظهرها الحسي المادي و يقدمها للعين، فهو أشبه بالتصوير الفوتوغرافي للمناظر، فالفرق بينه و بين هذا الأخير أنه يكون بالكلمات، و لا يقتصر على تصوير الملموسات فقط بل يتعدى إلى الأشياء الميتافيزيقية غير المرئية كالصوت و الرائحة، و قد كانت بدايات الوصف قديما تتناول الأشياء كما هي موجودة في العالم الخارجي، و تقدمها في صورة أمينة، فارتبط بمفهومه المحاكاة و لهذا اعتبر الشعر القديم، كوثيقة تاريخية يمكن من خلالها التعرف على مختلف جوانب حياة الأعراب، و رغم هذا فالذي لا يجب تناسيه هو « عملية التحويل التي تقع على هذه المادة الخام و نقلها من معناها الحرفي إلى معنى خيالي"[2]

و قد ظهر في أسلوب الوصف موقفان متغايران، فالموقف الأول يمثله الواقعيون الذين جعلوا وصفهم وصفا تفصيليا دقيقا و التزموا الموقف الموضوعي، أما الموقف الثاني فهو موقف أصحاب تيار الوعي الذين لم يكونوا ينظرون إلى الأشياء على أنها حقيقة متنقلة عن الشخصية، فكانوا لا يعتمدون في وصفهم كثيرا على التلميح و الإيحاء.

2-3- وظائف الوصف:

إن وظيفة الوصف تتعدى تلك الوظيفة التصويرية الجافة التي تتمثل في رسم حدود و تفاصيل مكان معين، فهي بهذا المعنى لا يمكن أن نفرقها بأي حال من الأحوال عن وظيفة الصورة الفوتوغرافية بل قد تقتصر عنها، و لو كان الأمر كذلك كان من الأجدر به وضع صور الأماكن الموجودة في الرواية بدل جهد في وصفها كتابة.

[1]- شيزا القاسم، بناء الرواية، نقلا عن نقد الشعر لقدامى بن جعفر، ص70

[2]- المرجع نفسه، ص80

3-2-1- الوظيفة التفسيرية:

تعتبر الوظيفة التفسيرية من أولى وظائف الوصف، إذ أن الوصف يوضح لنا و يرسم أشياء و أماكن عديدة في الرواية لم نتعرف عليها بدونها فوظيفة الوصف هذه " رمزية دالة على معنى معين في إطار سياق الحكي"

3-2-2 الوظيفة الإبهامية:

و هذه الوظيفة مرتبطة جدا بالوظيفة الأولى و يمكن اعتبارها هي تلك التي تحدث الفرق بين ما يصوره الوصف و ما تصوره الصورة الفوتوغرافية إذ أنه "يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخيلي، و يشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا علم الخيال و يخلق انطباعا بالحقيقة و تأثيرا مباشرا بالواقع"[1]

3-2-3 الوظيفة الجمالية:

يقوم الوصف في هذه الحالة بعمل تزييني، فهو يشكل استراحة في وسط الأحداث السردية، و يكون وصفا خالصا، لا ضرورة له بالنسبة لدلالة الحكي فمثلا:"الوصف الخاص بدرع إيشيل في الإلياذة لا يمكن أن يدل على شجاعة إيشيل، إنه وصف جمالي إبهاري"[2] و هي وظيفة جمالية تبرز لنا كثيرا في الفنون القصصية القديمة، و قد ظهرت بقوة أيضا في موجة الرواية الجديدة

3- 3وصف المكان:

يعد الوصف من أهم الأغراض المحددة للمكان "هو الذي يتكفل بتأطير الأحداث و هو الذي يأخذ على عاتقه رسم أجوائها، و بعبارة أخرى نقول إن الوصف عملية تهيئ الديكور اللازم للحدث"[3] فالوصف عنصر مهم في أي عمل سردي، وهو لا ينحصر في التعامل مع

---

[1]- شيزا القاسم، بناء الرواية، المرجع السابق، ص82

[2]- حميد الحميداني، المرجع السابق، ص79

[3]- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، ص101

المألوف من الأشياء إلى العمل على تبيان الغامض و المبهم منه، فهو الأداة التي تشكل صورة المكان "المستوى السردي يخضع لقانون المرسل و المرسل إليه، لكون الوصف يكتسب أهمية كبيرة في العمل السردي "المستوى السردي تتحكم فيه الإشارات السردية و مجموع العمليات التي تدمج الوظائف و الفعاليات في الاتصال السردي، هذا الاتصال يشكل بالمرسل والمتلقي"[1] و السارد المرسل هو الكاتب و الملتقي هو القارئ بدرجاته المختلفة .

لذلك كان وصف المكان البعد الثاني الذي يتشكل في الزاوية حيث أن هناك "بعدان

للرواية "[2] أحدهما أفقي يشير إلى السيرورة الزمنية والأخرعمودي يشير إلى المجال المكاني الذي تجري فيه الأحداث وعن طريق التحام السرد و الوصف ينشأ فضاء الرواية، و يمكن توضيح ذلك من خلال الشكل التالي:

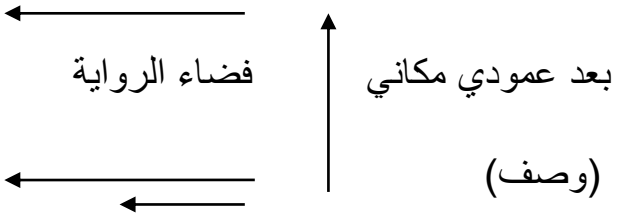

الوصف في الرواية "يهتم بتحديد المجال العلمي الذي يتحرك فيه الأبطال، بينما أصبح الوصف في الروايات الجديدة يميل إلى الدقة المتناهية في قياس المسافات بحثا عن هندسة حقيقية للمكان "[3] ، من هذا فإن دور الوصف بالنسبة للمكان يتفاوت حسب أنواع الروايات.

[1]- شعرية النص،

[2]- حميد الحميداني، المرجع نفسه، ص81

[3]- حميد الحميداني، بنية النص السردي، المرجع السابق، ص81

4- أهمية المكان في العمل السردي:

يعد المكان من العناصر المهمة في أي عمل سردي (رواية، قصة...) و خاصة في بناء الشخصية مثلا فلا يمكن أن توجد شخصية بدون مكان.

فالمكان فضاؤها و حيزها الذي تتحرك فيه، و بهذا فلا يمكن للعمل السردي أن يبقى بمعزل عن المكان، فهو عنصر مهم، مركزي، كما لا يقل أهمية عن دور الزمان في بناء الشخصية، حيث نجد كل من الثلاثي- الزمن، الشخصية، الأحداث- لها علاقة متشابكة مع المكان في البناء الروائي، و يمثل المكان الركيزة التي تبنى عليها هذه العناصر والحيز الذي يحتويها فلا يمكن تخيل زمان بلا مكان و كذا شخصيات تدور في الفراغ.

ناهيك عن الأحداث، و بمفهوم آخر يستحيل تناول الزمان في دراسة تنصب على عمل سري، دون أن لا ينشأ عن ذلك مفهوم المكان، و من الجدير بالذكر أن تجربة الإنسان التي يعيشها ضمن ظروف معينة وعامل الحس الإنساني نحو الزمان أو المكان، ناهيك عن الأحداث، و لما كانت له هذه الأهمية فقد عنى المحللون بدراسته - المكان- فأصبحنا لا نكاد نجد دراسة تتناول أي عمل سردي إلا تعرج على المكان، توضح وظيفته في هذا العمل.

ومما يزيد من أهمية المكان في الرواية أو العمل الروائي ليس ذلك المكان الطبيعي الجغرافي الذي نعرفه حتى لو تشابهت الأسماء، حيث أن النص الروائي يخلق مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة له عن طريق الكلمات والعالم الفسيح يخضع لمنظومة إنسانية علمية تقسمه إلى مناطق إلى عوالم منفصلة أو متصلة لكل منها قوانينها الخاصة التي تحكمها"[1]

5- علاقة المكان بالشخصيات و الزمان:

لا مناص من أن للمكان من المكونات و العناصر الهامة و البناءة للخطاب الروائي بوصفه عنصرا شكليا فاعلا في الرواية، حيث يعد من الأسس الواجب حضورها في تأطير المادة الحكائية و تنظيم الأحداث، فلا يمكن أن نجده منفصلا عن باقي عناصر العمل الروائي، كالزمن و الشخصيات و الأحداث و السرد...

[1]- شيزا احمد القاسم، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، ص78

أ- علاقة المكان بالشخصيات:

من المتعارف عليه أن الشخصيات في العمل الروائي لها وظائف و طبائع فما على الروائي أثناء تشكيله للفضاء الذي ستجري فيه الأحداث إلا أن يجعل هذا الأخير منسجما مع تلك الطبائع و الوظائف التي تحملها الشخصيات الروائية، و لا يكون ذلك إلا بوجود تأثير متبادل بين الشخصية و المكان الذي تتواجد فيه. لينبثق من خلال ذلك الحدث، بل أن المكان لا تبدو ملامحه و معالمه إلا باختراق الشخصيات له .

وحسب حسن بحراوي "فإنه ليس هناك مكان محدد مسبقا، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقم بها الأبطال"[1]

ومن خلال هذا فإن المكان يأتي من خلال حركة الشخصيات فيه ذهابا وإيابا وسفرا واستقرارا، وهذا ما يبين لنا أن نوعية العلاقة الموجودة بين المكان والمكان والشخصية هي علاقة تكاد أن تكون تلازمية، والمكان بالنسبة للشخصية هو الوعاء الذي تتحرك فيه ولا يمكن أن تعيش خارج إطار المكان ففي المكان ولدت، وعليه ترعرعت ونشأت،وفيه تموت، إذن فإن المكان لا قيمة له بدون شخصيات، والعكس كذلك، ولولاها لا أصبح المكان عبارة عن أشكال هندسية لا روح له.

وأمام كل هذا يمكن اعتبار المكان الروائي بمثابة بناء ينشأ اعتمادا على مميزات وطبائع الشخصيات وهو ابعد من أن يكون رسما لخطوط، وإنما يمتد أيضا لصياغات دلالية ليحقق بذلك الانسجام، مع التطور الحكائي العام، والصلة الوطيدة والظاهرة التي تجمع المكان بالشخصيات عجّلت من ظهور محاولات في البحث عن جوهر العلاقة الرابطة بهذين المكونين .

[1]- حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص1

ب- علاقة المكان بالزمان:

إن العلاقة بين الزمان و المكان وجودية ولازمة فوجود احدهما يؤدي إلى وجود الأخر "فالمكان تجسيد للزمان وتجليه الأبرز والأشهر" [1] وحركة الزمن في" تحولها إلى وجود أو لا وجود، ترتبط بفعل ما، فإذا انتفى الفعل دخل الزمان في العدم "[2] وهذا يعني إن "الزمان موجود لأن هناك نشاط ما، وفعلا خالقا،وعبورا مستمر من العدم إلى الوجود "[3]

فإذن العلاقة الموجودة بين الزمان والمكان، هي علاقة امتداد وتكامل، "فالمكان أحد أشكال الوجود الذي يفرض الزمان"[4] والمكان لا قيمة له في مجموعة من الأحداث في حد ذاته ما لم يرتبط بالزمان، لأن المكان الروائي فضاء تجري عليه مجموعة من الأحداث والصراعات والتحولات التى تأخذ طابع الإثبات والمصداقية، والزمان لا يوجد مستقلا عن المكان، لأن الزمان حقيقة مجردة لا تظهر إلا من خلال مفعولها في العناصر الأخرى التي تكوّن الوجود ومن هنا تبرز أهمية كل واحد منها بالنسبة للآخر.

فالزمان والمكان لهما دور كبير، وأهمية بالغة في بناء النص الحكائي، إذ يستحيل على الروائي أن يبني عالما تخيليا يقوم في الفراغ، فلا بد له من مساحة مكانية ليبني عالمه التخيلي، الذي تعيش فيه مجموعة من الشخصيات خلال مرحلة زمنية معينة، إلا أن الزمان والمكان ليسا كما هما في الحياة الواقعية، فهما مختلفين تماما، لأنهما عنصران روائيان يكوّنان إلى جوار العنصر الروائية الأخرى عملا إبداعيا، ويتصفان بصفة الفنية والجمال إنهما شكل أدبي فني واحد، ذو قيمة جمالية تسمى **"الزمكانية"** حسب تعبير" ميخائيل باختين" [5]، لأن ما يحدث للزمان والمكان في رواية ما هو انصهار علاقات المكان والزمان في كل واحد مدرك

---

[1]- صلاح صالح:دراسة المكان الصحراوي في رواية "فساد الأمكنة"، مجلة الفصول، مصر، ع3 ،1993 ، ص302.

[2]- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1992،4 ،ص189.

- برديافيقولا: العزلة والمجتمع، تر:فؤاد كامل،مراجعة: علي أدهم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط2، 1986، ص121.

[3]

[4]- احمد قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1984، ص15.

[5]- ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، تح يوسف حلاق، وزارة الثقافة، دمشق،1990، ص6.

ومشخص، فالزمان هنا يتكثف ويتراص، ليتجلى كشيء مرئي، نفسه المكان يتكثف ويندمج في حركة الزمان، بصفته حدثا أو جملة أحداث.

الفصـــــل الثانـي

2- الفضاء:

2-1 مفهوم الفضاء:

المكان الواسع من الأرض، و الفعل فضا، يفضو، فهو فاض أي المراد الذي لا شيء فيه كما قال ابن منظور.

ومن جهة أخرى فقد بسط " الفيروز أبادي" اللفظ في معنى الفعل الثلاثي"فضا" فقال "فضاء المكان فضاء و فضوا كأنه اتّسع"

أما الفضاء باعتباره مفهوم أو مصطلح، الذي يشمل الأشياء المادية وما تحتويها ليتسع فيستغرق جميع الأمكنة، وبهذا نجد كثرة استعماله كونه يشير إلى ما هو أبعد من التحديدات الجغرافية، فيصبح أداة قوية للمعرفة بوصفه شيئا ذهنيا، أي بوصفه شكلا قبليا فيه كل مسافة متخيلة إذن مفهومه يتجاوز المحدود و الحدس و الجغرافي ليعانق التجلي.

2-2- الفضاء الجغرافي:

وهو الحيز المكاني الذي يؤطر الرواية بالضرورة، حيث ثمة حد أدنى من الإشارات الجغرافية في كل رواية، مما يجعل من القارئ يتصور الحيز الجغرافي الذي تنتجه حكاية الرواية.

حيث أنه محدد جغرافيا له عدة سمات و خصائص تميزه عن غيره من الأمكنة، وهو مقابل لمفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته، ويتحرك فيه الأبطال والشخصية.

2-3- فضاء النص:

وهو الحيز الذي تشغله الكتابة باعتبارها أحرف طباعية على مساحة الورق و يشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف و وضع المطالع و تنظيم الفصول، و تشكيل العناوين و الرسومات الفنية المرفقة لها، و طول النص و قصره، و بناء الجملK و استعمال الهوامش، و غيرها من التقنيات التي تعطي للخطاب أهميته.

2-4- الفضاء الدلالي:

و يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة كي ما ينشأ منها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام .

2-5- الفضاء كمنظور:

ويتمثل في الطريقة التي يهيمن بها الروائي أو الكاتب على عالمه الحكائي، بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح.

فوجود الفضاء مرهون أساسا بوجود الأحداث و الشخصيات و جميع العناصر الأخرى فهو لا يشد إلا على أساس مجموعة متنوعة من القوى الفعالة من استقرار، اختراق، بناء، رحيل و تشبث مع ممارسات متنوعة على صعيد العلاقات الإنسانية.

2-6- الفضاء الروائي:

لقد استُخلص معنى الفضاء على أنه المكان بالمعنى الأكثر تجريدا، الذي تتوزع فيه العلامات في آن واحد و تتم العلائق هناك، حين يكون الفكر بحاجة إلى مدلولات فضائية، تفصلها عن بعضها البعض أكثر، مما جعل اهتمامها بالتمثيلات التي تكوّن المادة و تكوّن بنيتها الخاصة.

كما نجد أن الفرنسيان " جورج بولي و جيلبير دوران"[1] قد رعيا إلى دراسة الفضاء الروائي لذاته و لا يقوما بتحليل الروابط التي تجمع بين الفضاء الروائي ومجموع المكونات الحكائية الأخرى، أما "رولان بورنوف" في كتابه " العلم الروائي"[2]، فقد حاول أن يملأ الثغرة التي تركها "بولي دوران" حيث تساءل بصدد الضروريات الداخلية التي يخضع لها التنظيم المكاني في الرواية مقترحا علينا أن نصف بطريقة دقيقة طبوغرافية الحدث و أن نحلل وظائف المكان، وظائف الوصف فيه لتبين علاقاته بالشخصيات و المواقف و الزمن. غير أننا نجد بأن الرواية الحديثة " قد جعلت من مكان حكائي أساسي ضمن المكونات الروائية الأخرى مما جعل الدراسات الشعرية للمكان تنظر إليه نظرة جديدة، مما أعاد إليه

[1]- حسن البحراوي، بنية الشكل، المرجع السابق، ص25

[2]- المرجع نفسه، ص26

فصوره على مستوى التحليل و البحث إعطائه تعريفا دقيقا مع تحديد الدلالات التي ينهج بها داخل السرد"[1].

فالفضاء في الرواية ما هو إلا امتداد للقوى الفاعلة (الشخصيات)، فدلالة الفضاء من دلالة هذه الأخيرة و ديناميكية منها و بهذا يتوقف عليه الفعل الروائي نفسه، مجسدا فيه العلاقات والوعي الاجتماعي والثقافي، وهو يتميز عن غيره من الفضاءات كالمسرحية و السينمائية و غيرها لكنه لا يختلف عن المكونات الأخرى للخطاب الروائي حيث أن اللغة هو المدخل الأساسي لقراءة الفضاء و بقوة اللغة يتجسد فهم الفضاء الروائي.

وهنا لا يمكن الحديث عن الفضاء إلّا بمعرفة وجهة نظر السارد الروائي، لكي يبقى مثله مثل كل فضاء فني يبين أساسا على تجربة جمالية، معتمدا على اللغة الراقية التي تعمق من جماليات الفضاء، منه إلى الرواية.

3- الوصف و المكان:

يلعب المكان دور مهما في الرواية، فعلى الرّوائي أن يرسم لنا لوحة عن الأماكن التي تدور فيها الأحداث، و تتحرك فيها الشخصيات و قد يكون المكان المرسوم إما مأخوذا من الواقع المعاش أو من محض مخيلة الروائي، فالمهم هو أنه يحدد لنا ذلك المجال الذي هو بمثابة خشبة المسرح التي تؤدي الشخصيات عليها أدوارها، و هذا ما جعل للأدب عدة أساليب مختلفة في تحديد هذه الأمكنة، فنذكر من بين هذه الأخيرة أسلوب الوصف.

3-1- تعريف الوصف:

يقر النقاد بصعوبة وضع تعريف دقيق للوصف، غير أن هناك بعض التعاريف و من بينها: تعريف قدامى بن جعفر في كتابه نقد الشعر" الوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال و الهيئات و لما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضرب

[1]- حسن البحراوي، بنية الشكل، المرجع السابق، ص27

المعاني، كان أحسنهم من أتى شعر بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بإظهارها فيه و أولاها حتى يحكيه بشعره و يمثله بنعته"[1]

فالوصف من بين الأساليب الإنشائية، فهو يتناول ذكر الأشياء في مظهرها الحسي المادي و يقدمها للعين، فهو أشبه بالتصوير الفوتوغرافي للمناظر، فالفرق بينه و بين هذا الأخير أنه يكون بالكلمات، و لا يقتصر على تصوير الملموسات فقط بل يتعدى إلى الأشياء الميتافيزيقية غير المرئية كالصوت و الرائحة، و قد كانت بدايات الوصف قديما تتناول الأشياء كما هي موجودة في العالم الخارجي، و تقدمها في صورة أمينة، فارتبط بمفهومه المحاكاة و لهذا اعتبر الشعر القديم، كوثيقة تاريخية يمكن من خلالها التعرف على مختلف جوانب حياة الأعراب، و رغم هذا فالذي لا يجب تناسيه هو « عملية التحويل التي تقع على هذه المادة الخام و نقلها من معناها الحرفي إلى معنى خيالي"[2]

و قد ظهر في أسلوب الوصف موقفان متغايران، فالموقف الأول يمثله الواقعيون الذين جعلوا وصفهم وصفا تفصيليا دقيقا و التزموا الموقف الموضوعي، أما الموقف الثاني فهو موقف أصحاب تيار الوعي الذين لم يكونوا ينظرون إلى الأشياء على أنها حقيقة متنقلة عن الشخصية، فكانوا لا يعتمدون في وصفهم كثيرا على التلميح و الإيحاء.

2-3- وظائف الوصف:

إن وظيفة الوصف تتعدى تلك الوظيفة التصويرية الجافة التي تتمثل في رسم حدود و تفاصيل مكان معين، فهي بهذا المعنى لا يمكن أن نفرقها بأي حال من الأحوال عن وظيفة الصورة الفوتوغرافية بل قد تقتصر عنها، و لو كان الأمر كذلك كان من الأجدر به وضع صور الأماكن الموجودة في الرواية بدل جهد في وصفها كتابة.

---

[1]- شيزا القاسم، بناء الرواية، نقلا عن نقد الشعر لقدامى بن جعفر، ص70

[2]- المرجع نفسه، ص80

3-2-1- الوظيفة التفسيرية:

تعتبر الوظيفة التفسيرية من أولى وظائف الوصف، إذ أن الوصف يوضح لنا و يرسم أشياء و أماكن عديدة في الرواية لم نتعرف عليها بدونها فوظيفة الوصف هذه " رمزية دالة على معنى معين في إطار سياق الحكي"

3-2-2 الوظيفة الإبهامية:

و هذه الوظيفة مرتبطة جدا بالوظيفة الأولى و يمكن اعتبارها هي تلك التي تحدث الفرق بين ما يصوره الوصف و ما تصوره الصورة الفوتوغرافية إذ أنه "يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخيلي، و يشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا علم الخيال و يخلق انطباعا بالحقيقة و تأثيرا مباشرا بالواقع"[1]

3-2-3 الوظيفة الجمالية:

يقوم الوصف في هذه الحالة بعمل تزييني، فهو يشكل استراحة في وسط الأحداث السردية، و يكون وصفا خالصا، لا ضرورة له بالنسبة لدلالة الحكي فمثلا:"الوصف الخاص بدرع إيشيل في الإلياذة لا يمكن أن يدل على شجاعة إيشيل، إنه وصف جمالي إبهاري"[2] و هي وظيفة جمالية تبرز لنا كثيرا في الفنون القصصية القديمة، و قد ظهرت بقوة أيضا في موجة الرواية الجديدة

3- 3وصف المكان:

يعد الوصف من أهم الأغراض المحددة للمكان "هو الذي يتكفل بتأطير الأحداث و هو الذي يأخذ على عاتقه رسم أجوائها، و بعبارة أخرى نقول إن الوصف عملية تهيئ الديكور اللازم للحدث"[3] فالوصف عنصر مهم في أي عمل سردي، وهو لا ينحصر في التعامل مع

---

[1]- شيزا القاسم، بناء الرواية، المرجع السابق، ص82

[2]- حميد الحميداني، المرجع السابق، ص79

[3]- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، ص101

المألوف من الأشياء إلى العمل على تبيان الغامض و المبهم منه، فهو الأداة التي تشكل صورة المكان "المستوى السردي يخضع لقانون المرسل و المرسل إليه، لكون الوصف يكتسب أهمية كبيرة في العمل السردي "المستوى السردي تتحكم فيه الإشارات السردية و مجموع العمليات التي تدمج الوظائف و الفعاليات في الاتصال السردي، هذا الاتصال يشكل بالمرسل والمتلقي"[1] و السارد المرسل هو الكاتب و الملتقي هو القارئ بدرجاته المختلفة .

لذلك كان وصف المكان البعد الثاني الذي يتشكل في الزاوية حيث أن هناك "بعدان

للرواية "[2] أحدهما أفقي يشير إلى السيرورة الزمنية والأخرعمودي يشير إلى المجال المكاني الذي تجري فيه الأحداث وعن طريق التحام السرد و الوصف ينشأ فضاء الرواية، و يمكن توضيح ذلك من خلال الشكل التالي:

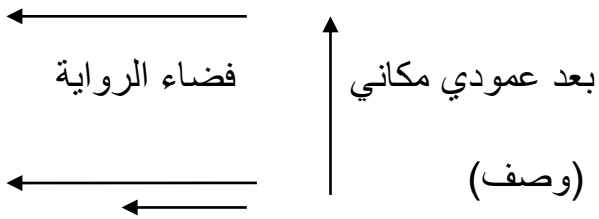

الوصف في الرواية "يهتم بتحديد المجال العلمي الذي يتحرك فيه الأبطال، بينما أصبح الوصف في الروايات الجديدة يميل إلى الدقة المتناهية في قياس المسافات بحثا عن هندسة حقيقية للمكان "[3] ، من هذا فإن دور الوصف بالنسبة للمكان يتفاوت حسب أنواع الروايات.

[1]- شعرية النص،

[2]- حميد الحميداني، المرجع نفسه، ص81

[3]- حميد الحميداني، بنية النص السردي، المرجع السابق، ص81

4- أهمية المكان في العمل السردي:

يعد المكان من العناصر المهمة في أي عمل سردي (رواية، قصة...) و خاصة في بناء الشخصية مثلا فلا يمكن أن توجد شخصية بدون مكان.

فالمكان فضاؤها و حيزها الذي تتحرك فيه، و بهذا فلا يمكن للعمل السردي أن يبقى بمعزل عن المكان، فهو عنصر مهم، مركزي، كما لا يقل أهمية عن دور الزمان في بناء الشخصية، حيث نجد كل من الثلاثي- الزمن، الشخصية، الأحداث- لها علاقة متشابكة مع المكان في البناء الروائي، و يمثل المكان الركيزة التي تبنى عليها هذه العناصر والحيز الذي يحتويها فلا يمكن تخيل زمان بلا مكان و كذا شخصيات تدور في الفراغ.

ناهيك عن الأحداث، و بمفهوم آخر يستحيل تناول الزمان في دراسة تنصب على عمل سري، دون أن لا ينشأ عن ذلك مفهوم المكان، و من الجدير بالذكر أن تجربة الإنسان التي يعيشها ضمن ظروف معينة وعامل الحس الإنساني نحو الزمان أو المكان، ناهيك عن الأحداث، و لما كانت له هذه الأهمية فقد عنى المحللون بدراسته - المكان- فأصبحنا لا نكاد نجد دراسة تتناول أي عمل سردي إلا تعرج على المكان، توضح وظيفته في هذا العمل.

ومما يزيد من أهمية المكان في الرواية أو العمل الروائي ليس ذلك المكان الطبيعي الجغرافي الذي نعرفه حتى لو تشابهت الأسماء، حيث أن النص الروائي يخلق مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة له عن طريق الكلمات والعالم الفسيح يخضع لمنظومة إنسانية علمية تقسمه إلى مناطق إلى عوالم منفصلة أو متصلة لكل منها قوانينها الخاصة التي تحكمها"[1]

5- علاقة المكان بالشخصيات و الزمان:

لا مناص من أن للمكان من المكونات و العناصر الهامة و البناءة للخطاب الروائي بوصفه عنصرا شكليا فاعلا في الرواية، حيث يعد من الأسس الواجب حضورها في تأطير المادة الحكائية و تنظيم الأحداث، فلا يمكن أن نجده منفصلا عن باقي عناصر العمل الروائي، كالزمن و الشخصيات و الأحداث و السرد...

[1]- شيزا احمد القاسم، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، ص78

أ- علاقة المكان بالشخصيات:

من المتعارف عليه أن الشخصيات في العمل الروائي لها وظائف و طبائع فما على الروائي أثناء تشكيله للفضاء الذي ستجري فيه الأحداث إلا أن يجعل هذا الأخير منسجما مع تلك الطبائع و الوظائف التي تحملها الشخصيات الروائية، و لا يكون ذلك إلا بوجود تأثير متبادل بين الشخصية و المكان الذي تتواجد فيه. لينبثق من خلال ذلك الحدث، بل أن المكان لا تبدو ملامحه و معالمه إلا باختراق الشخصيات له .

وحسب حسن بحراوي "فإنه ليس هناك مكان محدد مسبقا، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقم بها الأبطال"[1]

ومن خلال هذا فإن المكان يأتي من خلال حركة الشخصيات فيه ذهابا وإيابا وسفرا واستقرارا، وهذا ما يبين لنا أن نوعية العلاقة الموجودة بين المكان والمكان والشخصية هي علاقة تكاد أن تكون تلازمية، والمكان بالنسبة للشخصية هو الوعاء الذي تتحرك فيه ولا يمكن أن تعيش خارج إطار المكان ففي المكان ولدت، وعليه ترعرعت ونشأت،وفيه تموت، إذن فإن المكان لا قيمة له بدون شخصيات، والعكس كذلك، ولولاها لا أصبح المكان عبارة عن أشكال هندسية لا روح له.

وأمام كل هذا يمكن اعتبار المكان الروائي بمثابة بناء ينشأ اعتمادا على مميزات وطبائع الشخصيات وهو ابعد من أن يكون رسما لخطوط، وإنما يمتد أيضا لصياغات دلالية ليحقق بذلك الانسجام، مع التطور الحكائي العام، والصلة الوطيدة والظاهرة التي تجمع المكان بالشخصيات عجّلت من ظهور محاولات في البحث عن جوهر العلاقة الرابطة بهذين المكونين .

[1]- حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص1

ب- علاقة المكان بالزمان:

إن العلاقة بين الزمان و المكان وجودية ولازمة فوجود احدهما يؤدي إلى وجود الأخر "فالمكان تجسيد للزمان وتجليه الأبرز والأشهر" [1] وحركة الزمن في" تحولها إلى وجود أو لا وجود، ترتبط بفعل ما، فإذا انتفى الفعل دخل الزمان في العدم "[2] وهذا يعني إن "الزمان موجود لأن هناك نشاط ما، وفعلا خالقا،وعبورا مستمر من العدم إلى الوجود "[3]

فإذن العلاقة الموجودة بين الزمان والمكان، هي علاقة امتداد وتكامل، "فالمكان أحد أشكال الوجود الذي يفرض الزمان"[4] والمكان لا قيمة له في مجموعة من الأحداث في حد ذاته ما لم يرتبط بالزمان، لأن المكان الروائي فضاء تجري عليه مجموعة من الأحداث والصراعات والتحولات التى تأخذ طابع الإثبات والمصداقية، والزمان لا يوجد مستقلا عن المكان، لأن الزمان حقيقة مجردة لا تظهر إلا من خلال مفعولها في العناصر الأخرى التي تكوّن الوجود ومن هنا تبرز أهمية كل واحد منها بالنسبة للآخر.

فالزمان والمكان لهما دور كبير، وأهمية بالغة في بناء النص الحكائي، إذ يستحيل على الروائي أن يبني عالما تخيليا يقوم في الفراغ، فلا بد له من مساحة مكانية ليبني عالمه التخيلي، الذي تعيش فيه مجموعة من الشخصيات خلال مرحلة زمنية معينة، إلا أن الزمان والمكان ليسا كما هما في الحياة الواقعية، فهما مختلفين تماما، لأنهما عنصران روائيان يكوّنان إلى جوار العنصر الروائية الأخرى عملا إبداعيا، ويتصفان بصفة الفنية والجمال إنهما شكل أدبي فني واحد، ذو قيمة جمالية تسمى **"الزمكانية"** حسب تعبير" ميخائيل باختين" [5]، لأن ما يحدث للزمان والمكان في رواية ما هو انصهار علاقات المكان والزمان في كل

---

[1]- صلاح صالح:دراسة المكان الصحراوي في رواية "فساد الأمكنة"، مجلة الفصول، مصر، ع3 ،1993 ، ص302.

[2]- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1992،4 ،ص189.

- برديافب نيقولا: العزلة والمجتمع، تر:فؤاد كامل،مراجعة: علي أدهم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط2، 1986، [3]ص121.

[4]- احمد قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1984، ص15.

[5]- ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، تح يوسف حلاق، وزارة الثقافة، دمشق،1990، ص6.

واحد مدرك ومشخص، فالزمان هنا يتكثف ويتراص، ليتجلى كشيء مرئي، نفسه المكان يتكثف ويندمج في حركة الزمان، بصفته حدثا أو جملة أحداث.

الفصـــــل الثاني

1- أنواع الأمكنة في رواية" زهوة ":

في هذا المبحث نقوم بدراسة الفضاءات الأساسية الموجودة في أحداث الرواية، والتي تشكل بؤرتها في وجه محدود من الأماكن التي لها علاقة وطيدة بالشخصيات الرئيسية والتي تفردت بانشغالات الكاتب، وكان ذلك العمد في انتقاءها لأنها تمدنا بلمحة تاريخية عن بيئتها وإنسانيتها، كما أنها تعطي الرواية بطاقة مجازية تقلق وتثير الفعل الروائي، ثم إنها عبارة عن رموز تنزع الغطاء على السير العام للرواية، والأهم من هذا كله أنها تسعى لتكوين خصائص تكسب الخطاب خصوصية المكانية. كما أن الأمكنة بالإضافة إلى اختلافها من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكيلاتها أيضا إلى مقياس المرتبط بالاتساع أو الضيق أو الانفتاح والانغلاق ومن خلال دراسة رواية زهوة نجد سيطرة بعض الأمكنة على نتائج الرواية على غرار مثيلتها من الروايات الأخرى، فمثلا نجد فضاء الحجرة في الرواية له نصيب معتبر في الجانب السردي، ولكنه مع ذلك لا يمكن اعتبار ما هو المكان الروائي الأساسي وأن الرواية إذ يقع عالمها الخاص ويستفيد حقا من الواقع فإنها تجعل كل الأمكنة مادة لبناء فضاءاتها الخاصة: ذلك أن الرواية كما قال "لورنس" "هي كتاب الحياة الوحيد الوضاء"[1]. فالمكان ينقسم وفق ثنائيات ضدية تحمل كل منها سمات عكس ما يحمله البعض الآخر في الرواية، ويتجسد ذلك في ثنائية الضدية المغلقة والمفتوحة (المكان المغلق والمكان المفتوح) وما تحمله هذه الثنائيات من ميزات في الرواية حيث نذكر:

أ- الأماكن المغلقة:

يكتسي المكان كينونة انطلاقا من أبعاده الهندسية والوظائفية التي ينجزها، فإن كانت الفضاءات المفتوحة امتدادا للفضاء الكوني الطبيعي مع تغيير ناتج عن حاجة الإنسان المتعلقة بزمنه، فإن الحاجة نفسها تربطه بفضاءات أخرى، يمكن بعضها ويستغل بعضها الآخر في ضروريات مختلفة ومتنوعة، فالبيت أو الدار مأوى بقية من الطبيعة وهو محل استقرارهن والمقام والخلوة للعبادة والتقرب من الخالق والمدرسة فضاء لآراء التعلم.

[1]- حميد الحمداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص72.

هذه الفضاءات يتنقل بينها الإنسان ويشكلها حسب أفكاره، والشكل الهندسي الذي يروقه، ويناسب تطور عصره، وينهض الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح، ولا تخلو الرواية من الفضاءات المغلقة ومن أهمها:

1- فضاء البيت:

إن النظر إلى الشقة أو البيت كمجالات مكانية ضيقة يحدها جدران تغلق على أثاث وأشياء بما فيها وما تحويه من غرف وحجرات، وتستقل بكينونتها الهندسية، تقف دراستها عند حدود المظهر الخارجي ووصفها يعتبر موضوعا ضرب من الخطأ.

فالبيت يمثل حضورا مكثفا في مختلف الروايات إضافة إلى كونه له أهمية في دفع الأحداث لاستمرارها يقول "باشلار": "... إن البيت هو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام إنسانية، ولهذا فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا ..."[1]

ولعل هذا السبب هو الذي جعل المكان ضروريا عند الحبيب السائح، أن الإنسان من يعي دائما عن حاجته في إقرار وجوده، والبرهنة عن كينونته من خلال الإقامة في مكان ثابت، سعيا وراء رغبة متأصلة في الاستقرار وطلب الأمن للذات.[2]

كما عني "باشلار" بالبيت وأعطاه أبعاد أخرى، من حيث هو أهم عوامل جمع الأفكار والذكريات والأحلام الإنسانية، وأن تداخل الأزمنة الثلاثة أو تعارضها (الماضي، الحاضر، المستقبل) يعطي البيت حركية مختلفة لأن البيت الذي يحمي الإنسان من الكآبة والضيق والحشة، كما أن البيت في العمل الروائي، نجد أنه قد أخذ عن جموده المادي المكون من مجموعة الأثاث يصفها بدقة دون التجاوز إلى حضوره الإنساني، وتحس الروح التي تسكنه، فأصبح بدلالته المنطقية من زواياه يدل على الإنسانية دلالة التأثير الجدلي المكان والشخصية.

يمثل المكان في رواية "زهوة" نقطة هامة تتمثل في البقاء في المكان الذي مافتئ على مرّ الزمان يمثل ملتقى العائلة والأفراح والمسيرات، فمثلا عزيزة فضلت البقاء في بيتها الأول والأصلي على السفر إلى العاصمة. "متعللة بأنها فضلت ألا تقضي غريبة عن البيت الذي

[1]- عمر بملفتى،بناء المكان في الخطاب الروائي "نوار اللوز" للأعرج وسيني،مجلة التواصل،ص139.
[2]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (فضاء،الشخصية، الزمن)، ص52.

دخلته عروسا ونفست فيه ابنا هو من عوض لها العناية به عن أفدح خسارة لحقت بها جراء هجر أبيه إياها وهو في بطنها"[1]

والبيت وسط للحلم والعشق والذكريات والتفكير، فهو الوسط الذي يجمع الرجل بالمرأة بعلاقة حميمية فقد شكل الفصل بين العالم الخارجي والداخلي، فعلاقة إدريس بزوجته عزيزة، كانت علاقة كغيرها من العلاقات الزوجية، والتي أنجبت منها ولدا: "وسكت له على أنها نهلت من صحن عسل كانت وضعته جنبها وطلت بأصابعها الصقلية على ذكره فعلى فرجها، ثم شربت وسقته من فمها، فولجها ودفق، ثم أغفى على صدرها فلم يقف إلا لما هزمته"[2]، وبالمقابل فما يجسده البيت من علاقات زوجية شرعية بين رجل وامرأة من حب وعواطف وود وغرائز أسسها وبناؤها صحيح وشرعي وجدي نجد أنه يجسد كذلك علاقات غير شرعية ومحرمة، وتعد من الآفات الاجتماعية التي نجدها قد عمت عديد المجتمعات، ويتبين لنا في الرواية أن هناك خيانة متمثلة في جريمة الزنا بين سحنون وسلطانة زوجة السبعاوي وكان بيت العايب هو مكان اللقاء بينهما" أنه كان جاءها يوما فأخبرها، وقد كان سحنون دخل بيت العايب في انتظار التحاق سلطانة به فأعطته ما وعدته"[3] كما يعد البيت حاملا للوعة والاشتياق والتذكار في كل مرة يزور عبد النور وربيعة منزلهما

الريفي حتى إذا كان خارج السور، أشارت نحو منزل منفرد أبيض بسقف من قرميد وباب براني ونافذة في الجدار المقابل لها غربا ونطقت بغبطة "تلك دارنا" فلاطفها: " لابد شممت رائحتها، كأن يحدث لي ذلك كلما عدت من المدينة إلى بيتنا الريفي "فردت" ترعشني رعدة التذكار ياعم"[4]

فراغ البيت من الأحبة والأبناء أو الأهل يمثل كآبة وتعاسة تزيد فرع صاحبه ويؤثر على نفسيته ويزيد من مخاوفهن فربيعة تخشى أن يكون البيت قد ضاع على يوسف أو لم يطلب له المقام فيه" .. .. فسبّب لها ذلك نوعا من الكآبة المزمنة، لخوفها أن أهجر الدار، وكان ذلك

[1]- الحبيب السائح، زهوة، ص8.
[2]- المصدر نفسه، ص168.
[3]- المصدر نفسه، ص176.
[4] - المصدر نفسه،ص188.

يزيدها فزعا، فلم تطمئن إلى يوم سألتني إن كانت الدار ضاقت بي، فأجابتها إني أحس نفسي في بيت أبي وبين بقايا أنفاسه"[1]

للبيت مميزات وخصائص متمثلة في أنه يعد مأوى الأسرار وكتمها وهو ما أفصحته بهيجة لعزيزة من أسرار خاصة"... سوى أن بهيجة قد طرقت باب بيتهم فأدخلتها أم عزيزة وأسعفتها كاتمة عنها ما كانت روته لها"[2]

وفي هذا المقطع نجد تعاطف عزيزة مع بهيجة ومساعدتها في فاجعتها وأسعفتها وحييتها بالأمان وأراحتها، وأفرزت لها سرير وخزانة من الملابس في غرفة خاصة.

ونجد أن للبيت وظائف وفوائد أسمى ما ذكر فهو لم يعد مقتصرا فقط على السكن ومحل الإقامة والذكرى والأحداث العائلية بل يتعدى ذلك بأنه يعد مشاركا في الثورات ومساندا للثوار والفدائيين في المنطقة، ومن أوى المعطوبين في بيته تحت رعاية صفية القمرية الذي كان هو من جند زوجها"[3]

البيت بكل ما يحمل من معان ومن أثاث دائما ما يبقى فاقدا لشيء خاص يملأ المشاعر والأحاسيس"... فوعده مبتهجا: وكم سيكون عبد اللطيف فرحا بعودته بزوجته إلى بيت أثثه خصيصا لها"[4]

"كان في خدمة سيدي بالطاعة، عاش من قطعة ارض تابعة لوقف بنى فيها دارا لا تزال تسكنها عائلته"

"... ونطق من خنافه ناسيا أطراف أصابعه في الفخذين المنتصبين خلفه" ومن أنت؟"

"فضغط عليه" أبعد يديك الوسختين أنا الروح حارس الدار التي تجسس عليها وترهب أهلها الآسنين"

وترى رضوان يقوم بعمل المحسن والنبلاء في الذود عن بيوت المحسنين والمستضعفين والأرامل"... وما كرني أنفه الجاف يخدعه بأن رائحة المسك الحقيقية التي يشمها، كأنها من

[1]- الحبيب السائح، زهوة، ص318.
[2]- المصدر نفسه، ص211.
[3]- المصدر نفسه، ص215.
[4] المصدر نفسه، ص215

رضوان ولذلك جسده، يعني على تعطره وعلى نظافة ملابسه واستبعد لي أن أكون رضوان الحقيقي الذي جاء يزور الأرملة عالية من أجل ابنتها كوثر".[1]

يوسف يذكر عبد النور بوعده الذي قطعه له أن تخلى عن رحلته وفيها نجد وصفا دقيقا للبيت وما يحتويه من أثاث وسط اخضرار الجنان وانسياب المياه ما يضفي على الإنسان راحة وسكون... "... وتأمّر أن يبني لي بيتا كما أحلم به أن أكون بجنان عظيم فيه ساقية جارية وعشب وأشجار تفاح وخوخ وتين وكرز وعنب وزهور وشحارير و كرومات ويمام وحمام..."[2]

باكور يقرأ من كتاب ويطلب السمع لما يقول ماذا تمثل الدار، فقد تكون من السعادة والفرح والأنس، وقد تكون غير ذلك: شقاء وبؤس وتعاسة..." ... ثلاثة من السعادة: ومنها ... والدار تكون واسعة، كثيرة المرافق، وثلاث من الشقاء... وذكر: والدار تكون ضيقة قليلة المرافق".[3]

كان البيت يعد محل إقامة الأجساد بأرواحها في الحياة الدنيا، كذلك يعد محل إقامتها، ومكانها الذي تدور فيه وتمكنه فيما بعد الممات..." ... لان روح الميت يظل مقيما في بيت أهله لثلاثة أيام يحصى حلالها كل كبيرة وصغيرة من حيث حقه في الطعام وفي ذكره بخير إلى الترحم والقراءة عليه".[4]

كما يعد البيت والدار مدرسة للأخلاق والتربية الحسنة وكل ما تربطه علاقة بهذه العائلة المختلفة بخلق حسن وأعلى تربية له شرف كبير لأنهم كرام "ستخرج من هذه الدار الكريمة أكمل سعادة وقد قبلت هذه الشابة برضا من أهلها، أن تكون حليلة الرضوان.

في جانب آخر نجد وصف للدار وما يحيط بها" ... ووصف لهما الدار وكأنه هو مالكها:" بالنسبة إلي هي قصر متكون من حجرة، ومطبخ وجنان صغير من شجر لوز وتين على جانبها، يقع وسط هكتار من أرض بور...[5]

---

[1]- الحبيب السائح، زهوة، ص26.
[2]- المصدر نفسه، ص218.
[3]- المصدرنفسه، ص293.
[4]- المصدر نفسه،.ص227.
[5]- المصدر نفسه، ص54.

وأخيرا من خلال رصدنا لمكان البيت واستخراج دلالته يظهر لنا أن هذا المكان كشف مختلف النفسيات والمشاعر والحالات الاجتماعية المعاشة من لدن الشخصيات الموجودة في المكان.

2- فضاء الحجرة:

تمثل دلالة الحجرة في الرواية على أنها المكان الخاص الذي يأوي إليه الشخص في البيت ككل وينفرد بخصوصياته وأفكاره منعزلا على الخارج وما يدور فيه، كما كان هذا عند ربيعة"... ذات ليلة دخل علي في حجرتي فارتبكت لأني كنت أقرأ كتاب العروس والعرائس، فجلس قربي على السرير، وظهر لي أنه لم ير ما خبأته خجلا" "...وسط صمت الحجرة الذي تركه رضوان بعد أن تذرع له بأنه أحب أن يفسح إليه ليخلو إلى نفسه معلنا أنه سيمر على الأستاذ عبد النور فربما احتاج شيئا[1]

ففي رواية "زهوة" كثيرا ما نجد "الحبيب السائح" قد أفرز مكانا واسعا وفضاء شاسعا لبعض الأمكنة وخاصة كل ما هو ممثل في الحجرة خاصة "تأمل يوسف أثار عناية اليد اللطيفة على السرير الفردي الموضب ببطانية مخملة سميكة مطوية عند الحاشية على قدر ما ظهرت مخدة وردية اللون بين شرشفين أزرقين... والطاولة المستطيلة"[2]

وأيضا: "... فتأمله بامتلاء، على نور منبعث بسراج نحاسي موضوع في كون في الجدار أضاء محتويات حجرة كل أثاثها كراسي ورفوف فيها مجلدات وكتب أخرى فوق مائدة مرتفعة القوائم بمستوى سرير فردي بغطاء من نوع البواريخ صوفي أبيض موشّى بخطوط حمراء متوازية ومثنى عند الحاشية عند الوسادة"[3]

"... دخل عليهم يوسف في حجرة أضاءتها ثلاث قناديل نحاسية، موضوعة على مرافع خشبية في الحيطان الثلاثة، تداخل نورها الخافت بأشعة الشمس لهيب حطب المستقرة في كانون الحائط وإلى ظهورهم ووسائد صوفية من لون الزربية..."[4]

كما نجد الوصف الدقيق والتعريف بما تحمله الحجرة والغرفة هي متمثلة في المكتبة أو القاعة الكبرى لقصد من "الحبيب السائح" بالتركيز على استنطاق للمكان وجعل القارئ كأنه

[1]-الحبيب السائح ،ص266.
[2]-المصدر نفسه ،ص55.
[3]- المصدر نفسه، ص42.
[4]- المصدر نفسه، ص63.

بداخله "... ظهرت لعبد النور القاعة الكبرى التي غطت جدارها، من أسفلها إلى أعلاها رفوف من الخشب المصقول مليئة كتبا ومجلدات ذات قطع متنوع نعند زاويتين منها سلمان خشبيان متحركان، وفي وسطهما طاولة تجارب فوقها قوارير لا يزال في بعضها سوائل..."[1]

والحجرة وما تمثله في أي منزل أو بيت لها خصوصية للفرد، نجد أن في الرواية كذلك لها حرمة، وهي تعتبر محل السر والخصوصية سواءا من الجانب العاطفي والدفء الزوجي ومثلت اللقاء الأول بين إدريس وعزيزة في بيت إحدى عماته، وهناك رأى منها مشاعر اتجاهه..."، "... فلما نزعت العصابة رأى نفسه داخل حجرة وقفت له فيها امرأة مشتهاة في لباس رقيق لا يستر جسدها إلا بقدر ما يظهر مفاتنه، خالها مسحورة تجسدت له من إحدى قصص بهيجة أخذته من يده وأجلسته بجانبها على الأريكة، فغمره طيبها برغبة، فسألها: من تكون، فأخبرته أنها روح صفية النصرانية"[2]

وما وجد يوسف ابن إدريس من حفاوة حارة في الاستقبال من طرف زينة.

"عند صحوته، وجد نفسه داخل حجرة أخرى، في زواياها قناديل نحاسية ملونة الزجاج خافتة الأنوار فأقبلت عليه الفتاة لدنة القوام وأسدلت شعرها على كتفيها عاريتين وضربت بإزار أبيض من حرير عقدت طرفيه فيما بين الركبتين أين مدت له يدها تهيب..."[3]

".. قائلة: " اسمي زينة وأنت هو يوسف... راقبتك من خلف حجاب منذ دخلت الحجرة الرابعة، فاستقبلك الروح فتوهمت أنه هو..."[4]

الحجرة محل للبوح بالأسرار والكشف عن مشاعر الولد للوالدين.." .. لم يتذكر أنه نتم في حجرها ليلة أو هي دخلت عليه في حجرته واستدرجته للبوح لها بأسراره الصغيرة مع سليمة، طبعا ولاشيء عن بهيجة بإدراكها أنها لن تفاتحه في أمرها أبدا..."[5]

وأيضا الحجرة هي مكان للراحة والأكل كما وُصف على لسان ربيعة "...ناطقة بتأثر: " حجرة رضوان، ومنها الدخول إلى بيت الضيوف، وهذه حجرتي ثم حجرة الوالدة يقربها حجرة راحة الوالد، وهذه حجرة الأكل وهذا المطبخ"[1]

---

[1]- الحبيب السائح، زهوة،ص118.
[2] - المصدر نفسه،ص54.
[3]- المصدر نفسه، ص56.
[4]- المصدر نفسه، ص56.
[5]- المصدر نفسه، ص107.

وذلك تحدث عن خروج رضوان من حجرته متأملا يوسف "...كان رضوان سبق إلى الخروج من باب حجرته، فالتفتت عالقة النظر بيوسف الذي تأمل"[2]

وفي مقطع آخر نجد الحجرة لها سرية ومفتاح خاص بها:

"... هذه حجرتي تنزل فيها أنت، مفاتنها عند رضوان، وتلك حجرة الوالدة انتقل إليها لأكون قريبة من سيدي عبد النور، إذ نطق رضوان ليوسف في قلب الحجرة، لو سمح سيدي لأفتح النافذة "[3].

كما تمثل الحجرة المطلة على خارج البستان جانبا من إفراغ البال من الضيق والضنك، وللتنفيس عن الخاطر..." أو وحيدا عند نافذة حجرته يتأمل أشجار البستان تغسلها أمطار الخريف قبل أن تحضنها سياج السور "وأشار بيده من خلف مربعات الزجاج" جميع الحجرات بنوافذ مطلة على الخارج"[4].

والرجوع بالذاكرة لحادثة "... ودار إلى وسط الحجرة، كأنما ليتأكد من وجود شيء ما ثم عاد قائلا" أختنا ربيعة مدهشة بقوة روحها، في هذه الحجرة، أجبرتني بحلف على المصحف أن لا أفكر في علتي مرة أخرى"[5].

الحجرة مكان مغلق للراحة والنوم "... فنطق: أحسنت تختلف مشاعري استدار مرة أخرى إلى عمق الحجرة ورافقته وأشار نحو السرير"[6].

بما أن الحجرة لها حدود مغلقة فهي تدل على الهدوء والصمت والتفكير، فالصمت الذي يعمر أرجاء الحجرة بمغادرة الأصحاب والأخلاء والفراغ الذي تركه رضوان "وسط صمت الحجرة، الذي تركه رضوان بعد أن تذرع له بأنه أحب أن يفسح إليه ليخلوا إلى نفسه"[7].

"واتخذ سيدي حجرة فردية قرب حجرته الزوجية لاستراحته..."[1] . "على رجع صوت ربيعة إذا نطق له من خلف المرآة حجرتها "رضوان أنظر إلى نفسك، أنت الوسيم لماذا تحزن..."[2].

1- الحبيب السائح، زهوة، ص515.
2- المصدر نفسه،ص152.
3- المصدر نفسه، ص152.
4- المصدر نفسه، ص154.
5- المصدر نفسه، ص157.
6- المصدر نفسه، ص158.
7-المصدر نفسه، ص 163

تمثل أيضا الحجرة مكانا لتبادل الأسرار والآراء ومناقشة الأمور الخاصة "... وعنفه على تحسس، فتوجع، وسخط له على نفسه الدنيئة، وأقسم له أنه وجد نفسه في باب حجرة سلطانة المفتوحة لما سمعها ردت على زوجها..."[3].

ومثلت الحجرة على أنها محل إقامة الأفراح والمسرات السعيدة من خطبة وزواج "... فقد كانت ربيعة قد ألقت نظرة أخيرة على ما أنهت تربيته، بعد أن أشعلت عود القمارى، واضعة راحتيها على ركبتيها مزهرة الخاطر من أثر ما تخيّلته ليوم
خطبتها في حجرة الضيوف نفسها مثيرة ومعطرة"[4]

وأيضا "فدخل عليها في حجرتها غصبا، فبكت لأم جاءها القدر..."[5]

ومن هنا فالحجرة قد جسدت المكان الذي يعبر على عديد الأمور والأحداث فهي تمثل المكان الخاص بالفرد والشخص، وهي مكان لتبادل الأسرار وحل المشاكل الداخلية الخاصة وما يبدو بين الزوجين، كما ظلت أيضا الفرحة والسعادة إضافة إلى كونها محل التردد والعواطف بين الأزواج، فهي مكان محظور ومنعزل عن الخارج لكن، لديها الثقل الكافي في ضرورة العمل الروائي

3- فضاء المقام:

يعد المقام ذلك المكان المقدس، أو بالأحرى كل مكان يحمل صفات التدين والتصوف، كما أن من ميزات الخصوصية والفردية التي يمكنها لصاحبها، فالمقام محل عبادة وطاعة وزهد ولا يدخل هذا المحل إلا صاحبها أو خاصة من الناس أو المقربين.

إن للمقام أن عظيم وقدر وجيه عند إدريس وعبد النور، ففيه الذكريات ويمثل الأصول والجذور كما أن الأجداد قطعوا عهدا على أنفسهم على أن يغدوا بيتا للحكمة
"... نديمي في التذكارات وخليلي في الصمت، ما أسعدك؟ أنت موعود بأمر جليل في هذا المقام الذي فيه لنا، أنا وأنت ويوسف وربيعة عرق دمي تنبض بالنسب إلى من وضع قاعدته الأولى على ما كان وقتها عهدا قطعه آخر أجداده على نفسه حتى يعلوا بيت الحكمة ..."[1].

---

[1]ـالحبيب السائح،زهوة، ص 164.
[2]ـ المصدر نفسه، ص 208.
[3]ـ المصدر نفسه، ص213.
[4]ـ المصدر نفسه، ص283
[5]ـ المصدر نفسه،ص 288.

في حين أن للمقام يمثل بقداسته وبحرمته فإنه يدلنا كذلك على أنه مكان إقامة وبيت لا يتعدى كونه أبسط ما يكون عليه مقام ببساطته "...وسألته إن كان يظن أن ابن ثريا وربيب مسؤول كبير في الحكومة ترعرع في الملذات وذاق من سحر المدينة يطمع في بقايا فقر كالمقام"[2]

كما أن المقام يمثل إرثا في توارث الأبناء عن الآباء عن الأجداد، فهم فيه شركاء ولاحق فيه "... كما أني أجعل التركة التي آلت لي من والدي، بجدران المقام ومساحته ومرافقه، وفقا على آل بالقرابة الدموية لا يباع منها ولا يشترى..."[3]

"... وخلعت على أخي وابن عمي عبد النور منزلتي في المقام يتول شؤونه..."[4]

وللمقام أدوار خير العلم والتعبد وقراءة المؤلفات فهو يعين ذوي الحاجة من الطلبة الراغبين في مواصلة الدراسة "... وبعد أنك أنت يوما تقفيت أثري فوصلت المقام الكريم، إني تركت لك ما فضل من المخصصات النقدية والعينة لتعرفه على صيانة الخزانة، وتسعف به ذوي الحاجة من الطلبة النجباء"[5]

المكان قائم على الهبات والعطايا وما يخدمه ويؤثث مرافقه وما يحتاج له من حاجت لكنه في الوقت ذاته لا يقبل مالا ولا صداقة يشوبها حرام "وما تؤثث به مرافق المقام... فإنك تعرف أنه من الأذى أن تتقبل هبات المنانين ومن أرزاقهم مستوية بالحرام ..."

"... وهمس: " أحس روح سيدي تجسد فيك، أنت في هذه اللحظة حسب المقام"[6].

التعلم في المقام والدراسة فيه من علوم إسلامية، وحفظ للقرآن كان ساعدا أو معينا لفهم دروس البكالوريا من أدب وفلسفة ولغات وخاصة ما كان على يد سيد المقام والقائم عليه..." لما حضي به من دعم سيده من مقررات الأدب والفلسفة واللغة الأجنبية منذ التحق بالمقام مطرودا من ثانوية المدينة"[7]

---

[1]ـالحبيب السائح، زهوة ، ص 299.
[2]ـ المصدر نفسه، ص 120.
[3]ـالمصدر نفسه، ص47.
[4]ـ المصدر نفسه، ص79.
[5]ـ المصدر نفسه، ص 144.
[6]ـ المصدر نفسه، ص144.
[7]ـ المصدر نفسه، ص 162.

ويجب أن يكون المقام نظيفا للحفاظ على هيبته " فخيرته بين أن ينفذ أمرها وبين أن يجمع أوساخ ملابسه وأدواته كما قالت، ويغادر المقام"[1]

وورد المقام أيضا: "فسألته من خناقة من يكون، فحضه قائلا أنه الروح الذي أدخله المقام، فتحسر له على سيده إدريس وترجاه بصوت متقطع أن يسرح عنه" وفي مقطع آخر: "ولما كنت عاتبته على أنه سيقضي حياته في المقام عالة اشتكى إلي أني أوجعته كثيرا بهراوتي..."[2]

المقام مكان للزيارة والتبرك... " فبكت لأم أجاها القدر إلى المقام زائرة بها فتركتها فيه على أن نعود إليها يوما لم يأت أبدا، إذ لمح إليه بأن دعوته إلى الحضور إلى المقام بصفة عاجلة، ليست لزيارة تبرك..."[3]

أذى سلطانة ومكرها وصل حتى المقام "... كانت تدرك أن الرجال كما النساء في المقام يعاملوها بحذر من الخوف من أذاها أكثر من مراعاتهم وصية الشيخ الأسبق الذي كلفها"[4]

رضوان يخشى أن يؤول المقام للبوار والهجرات بعد موت إدريس... " ... أعني موتى أم عن الوصول قبل أن تؤول إلى البوار حال المقام بعد وفاة إدريس"[5]

وما يبدو في المقام من أمور وقضايا وأحداث تبقى في المقام ولا تخرج إلى الخارج وتسوى جميع أموره في داخله..." ... فاستعطفه: "ما وقع وقع هنا في المقام، وهو شأن يخص المقام ولا يجب أن يخرج منه جميع مسائلنا وقضايا عالجناها وساويناها في المقام"[6]

المقام كان له حضور هام في المجتمع وفي حل المشاكل وعلى إقرار الحقائق وشهادة الشهود وإقرار المواقيت... فحسم له: "إذا ستحول الدية نقدا لصندوق المقام على أن يضبط ذلك في السجل بحضور شاهدين"[7]

---

[1]- الحبيب السائح،زهوة ، ص168..
[2]- المصدر نفسه، ص214.
[3]- المصدر نفسه، ص212.
[4]- المصدر نفسه، ص 220.
[5]- المصدر نفسه، ص325.
[6]- المصدر نفسه، ص 334.
[7]- المصدر نفسه، ص 337.

4- فضاء الخلوة:

تعتبر الخلوة في مفهومها العام ما يختلي فيه، وهي بمثابة مكان عزلة رجل الدين أو المتصوف لينعزل عن الناس ويتفرغ لعبادة الله، وكما أن لديها خصوصية أكثر من مكان لقداستها وحرمتها.

فهنا تجلت الخلوة على أنها مكان للذكر والتلاوة... " وانبعث صوت مقرئ رخيم عذب من هذه الخلوة"[1]

كما أن الخلوة تمثل أحب مكان وأفضل محل بالنسبة للشيخ والمتعبد، تقبض فيها روحه لتكون شاهدة له على تقواه وزهده وورعه..." ... رأيتني وقد كان خالقي دعاه إليه، دخلت في لباس ضيافة أبيض على سيدنا إدريس في خلوته يوم رحيله إلى عالم خلوده"[2].

وللخلوة هبة وخشوع لدى دخولها "... تهيب أشبه بلحظة خشوع، وقف يوسف وعبد النور متأملين فضاء الخلوة المشحون بتذكارات"[3]

ثم تولى فجاء يوسف يستمر إلى ما كان كشف عنه، فنطق، انهار: "ليست بريشة أحد عمار هذه الخلوة! بأي حال! "[4]

وتلك دار سيدي، وبقربها جنانها الكبير، فيه خلوته المباركة "[5]

والخلوة الخاصة لصاحبها لا يدخلها إلا الخواص من الأهل" خلوة سيد إدريس، لم يكد يدخلها للضرورات سوى المقربين إليه جدا"[6]

الخلوة التي تعزل صاحبها عن الخارج ولا يتصور من ذلك أنه في منأى كما يدور حوله أو أنه غير مهتم أو مطلع على أحواله وأحوال عائلته بل العكس، فهو متيقن ومتابع لكل كبيرة وصغيرة تخصه..." وكلمني أن عزلته في الخلوة للتأمل في ذاته،

لم تمنعه لحظة واحدة في التفكير في حياتي ومستقبلي"[7]

---

[1]- الحبيب السائح، زهوة، ص.104

[2]- المصدر نفسه،ص104.

[3]- المصدر نفسه، ص104.

[4]- المصدر نفسه، ص86.

[5]- المصدر نفسه، ص 262.

[6]- المصدر نفسه، ص81.

[7]- المصدر نفسه، ص105

5- فضاء المقبرة:

تمثل المقبرة بما فيها القبر، المكان المغلق والمظلم الذي ينتهي إليه كل مخلوق، فهي المكان الذي يضم الميت ويأويه، أنها الطريق إلى الذاكرة وإلى الماضي وإلى العادات المتوارثة"... في الغدوة، كان رضوان رفيقي إلى المقبرة، قرأنا عليه بيوسف"، "...ثم أشعلنا شمعة على شاهدة قبره، مجاورا لقبرها من مريم، ورششنا على ترابهما بماء الزهر..."[1]

تذكر الموتى وتفقدهم والقراءة على قبرهم رحمة لهم "...يوم دفن أمي، قبل ثلاثة أعوام من وفاته كان هو الذي تلا على قبرها من مريم، وأنار رضوان على جانبيه"[2]

"ثم رافقته إلى مدفن خولة لنقل رفاتها قرب والدها الشيخ عبد الفتاح في مقبرة أهلهم"[3]

وإذا سألته إن كان قد زار قبر والده إدريس بين قبور أجداده أجابه إنه تحلل إليه عند شاهدة رأسه بكلمات من الحب"[4]

فالمقبرة تعد المكان الذي يفصل الناس عن المستقبل ويجعلهم أكثر حنينا إلى الماضي وبذلك يأتي تذكرهم لمن كانوا معهم ومن ثم رحلوا إلى دار الخلود "وتعهد له أنه سيقف على قبرها ويتلو على روحها ويدعوا الله أن يغفر له..."[5]

وأيضا "متوهمة كوثر مسجاة النعش وهو قائم على قبرها"[6]، "وما كنت أحس لو أن من رتب خولة في قبرها كان أنا؟"[7]

وبعد ما اطلعنا على الأماكن المغلقة في الرواية رأينا أنها تجسدت في أكثر صورة بدءا من البيت ومرورا بالحجرة والمقام وصولا إلى المقبرة، وفي كل مكان من هذه الأمكنة نجد تغيرا في الدلالة والمقصد والغاية، واختلافا فما تمثله من اعتبارات للشخصيات وأدوارها في البناء والتشكيل الروائي، كما نجد أنها أتت مناسبة في محلها الذي أراده لها "الحبيب السائح"، فعبرت عن الرؤى والأحاسيس وعلاقة الشخصيات فيما بينها داخل الرواية في ذلك نرى أن الرواية حققت مرادها وأهدافها في توظيف هذه الأماكن.

---

[1]- الحبيب السائح، زهوة، ص.104

[2]- المصدر نفسه، ص104. -

[3]- المصدر نفسه، ص8.

[4]- المصدر نفسه، ص8.

[5]- المصدر نفسه، ص 284 .

[6]- المصدر نفسه، ص 284.

[7]- المصدر نفسه، ص 326.

ب-الأماكن المفتوحة:

إن الفضاءات المفتوحة امتداد للفضاء الكوني الطبيعي، وذلك وفقا لما تفرضه حاجة الإنسان المرتبطة بالعصر، فالشارع (الطريق، الممر أو الزنقة) هو مكان ذهاب وإياب ومسار تنقل وانتقال بين البيوت والرابط بين الأحياء والدورة لقضاء الحاجة المعينة والضرورية، والحي هو مكان لقاء الأصدقاء وتداول الحديث، والمدينة هي المكان الأوسع للتنقل وقضاء الحاجات، ودليل على العصرنة والتحديث، والوطن هو المكان الأوسع الذي يحتوي على فضاءات عدة وهو البنية التي يعيشها الإنسان ويترعرع فيها.[1]

كما تتخذ الرواية عموما أماكن مفتوحة على الطبيعة تكون خاضعة للاختلاف يفرضه الواقع، كما تظهر فضاءات وتغيب أخرى، ويمكن تحديد بعض الأماكن الرئيسية في نص الروائي كالآتي:

1-الشوارع والممرات:

يمثل الممر والطريق المحاط بالأشجار والاخضرار مكانا للتنزه والترفيه عن النفس، فنجد لها وصف دقيق وذلك للغاية في ممر مترب، بين أشجار التفاح والبرقوق والخوخ والتين واللوز، ودالية مخضرة كلها وبين أخرى غير مثمرة مورقة كلسان الطير وشجيرات المسك فقلت لعبد النور المتأمل "وكان هذا المسلك تنزهه المعتاد..."[2]

"... دخلت الطريق المتربة المستوية عبر السهل بين أشجار الزيتون المتفرعة إليها معابر من المقام..."[3]

"في زهوة" نجد أن الحبيب السائح في ذكره للمكان يلجأ غالبا للوصف وهي ثنائية متعددة في البناء الروائي والبنية السردية للرواية، فأثناء السرد يلجأ للوصف وهذا ما جعل عبد المالك مرتاض يشير لهذه النقطة ويقول "والحق أن سرد حاثة من الحوادث، أو وصف شيء

[1]- الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكلاني، عالم الكتب الحديثة للنشر و التوزيع، إربد،الأردن، ط1، 2010.
[2]- الحبيب السائح زهوة،، ص147
[3]- المصدر نفسه، ص 291.

من الأشياء أمران متشابهان يضعان بين أيدينا المعطيات اللغوية نفسها، وإذا فالسرد والوصف لا ينفصلان أو يكاد ينفصلان، فهما أكثر ما يكونان تلازما أو تفارقا..."[1]

ونجد ذكرا الطريق حاضرا في "... في طريق متربة، بللتها تساقطات حقيقية، ومنكسرة هنا وهناك، وسط سهل تناثرت عبره مساكن كحبات فطر"[2]

"...فرسن إلى أن انتظمت حركة قوامه في الممر المستوي، ثم أطلق..."[3]

"...وحتى شيب سدرى العتاب على رفّي ممرات متربة، كأنما بحث عن منبع السكون المحيط..."[4]

كما للشوارع المتمدنة خصوصية تتمثل في صخبها "... صاخبة متدفقة الشوارع حلفا بشريا"[5]

وجاء وصف الطريق في هذا المقطع "... ونفذ معها في ممر مترب بموازاته عن يمين...."،"وإلى ممر آخر متفرع مستوي بالطين الأصفر المدكوك..."[6]

وأشار إلى الطريق "... ببقية قطعة الصلصال عين على هذا وأخرى على ذلك"[7]

كما نجد مرادف الطريق وهو "الزنقة" والمستعمل قديما ويعبر عن تلك الممرات الضيقة الصغيرة المنارة بإنارة تقليدية "قناديل زيتية" ثم خرجت في زنقتها المضاءة لمشاعل زينته تجلى بين الحين والآخر قلمت عابرين خفافا أو ثقالا مسرعين أو ممهلين في ألبستهم البربرية والعربية الصوفية والجوفية أو الأندلسية الحريرية..."[8]

ومن خلال هذا نقرأ بجمالية الطرق والممرات أفعالا لمخلوقات من حركة واضطراب وذهاب وإياب وخروج ودخول إلى غيره من الأفعال أكثر مما نقرأ وصفا للمكان ذاته، خاصة عندما يكون التركيز موجها مقصودا تجاه الفعل الحياتي والفعل الإنساني وأهميته في تشكيل جمالية المكان.

---

[1]- عبد المالك مرتاض، في قطرية الرواية،"بحث في تقنيات السرد"، ص 259.
[2]- الحبيب السائح،زهوة، ص 19
[3]- المصدر نفسه، ص 19.
[4]- المصدر نفسه، ص 80.
[5]- المصدر نفسه، ص165.
[6]- المصدر نفسه، ص 81.
[7]- المصدر نفسه، ص 265.
[8]- المصدر نفسه، ص 65.

"... آه كم ستزهو شوارعنا عندما تطؤها قدماك الظريفتان "[1]

2- الجنان –الحقل-

يعد الجنان في رواية " زهوة" من الأشياء الملمة و يكاد يكون أساسيا في الحياة الإنسانية، فقد مثل الجنان الجانب التأملي للفرد إن صح التعبير، فهو المكان الذي يفرج فيه عن همومه وفيه يجد ضالته والابتعاد عن ضوضاء المدينة إلى الطبيعة والنقاد والأصالة.

كما يمثل الجنان جزءا لا يتجزأ محيط البيت أو المسكن الذي يعيش فيه الفرد..."...وتأمر أن يبني لي بيتا كما أحلم به أن يكون بجنان عظيم في ساقية جارية وعشب و أشجار تفاح والخوخ وتين والكرز والعنب زهور..."[2].

– وقف بين شجرتين منه متباعدتين بحوالي مترين وقال: من هنا مدخل الجنان..."[3].

ومن ناحية الوقت فالجنان نظرا لأهميته في الحياة اليومية فهو يأخذ ثلث وقت النهار، "...كان يقضي نهاره بين الخزانة والفراش وبين الجنان..."[4].

وما فيه من رقة للنفس و الترويح عنها فيكفي للفرد أن يتأمل و لو من نافذة الغرفة إلى الجنان حتى توحي عليك تلك الصور الطمأنينة و السكينة، "...وتقدم إلى النافذة فأزاح قليلا إلى شماله الستار الأبيض، فامتد لبصره جانب من سرور الجنان بمحاذاته أشجار صنوبر وزبوح أو كليتوس..."[5].

"...كان وحيدا عند نافذة حجرته يتأمل أشجار البساتين تغسلها أمطار الخريف..."[6].

...وبعد يوم من ذلك، كانت أعادتني إلى الجنان وأجلستني إلى جذع الشجرة..."[7].

---

[1]- الحبيب السائح، زهوة، ص 66.

[2]- المصدر نفسه، ص 79

[3]– المصدر نفسه، ص 80.

[4]– المصدر نفسه، ص 140.

[5]–المصدر نفسه، ص153.

[6]– المصدر نفسه، ص154.

[7]– المصدر نفسه، ص157

وكذلك من ايجابيات الجنان التي تدل على الاستقرار ومحل إقامة راحة،..."وتحرك متوتر وتحركت الرغبة لرائحة عرق المرأة تحته جسدا لجسد في تلك القيلولة في الجنان"[1].

كما يعد الجنان مصدر الرزق لما يوفره لأصحابه من حاجيات، كانت تلزمهم مصاريف لاقتنائها فمثلا نجده يوفر العلف للماشية " تكاشفا له أنه لم يكن مرت عليه أيام قليلة، كان خلالها مشغلا بحصد مساحة صغيرة من الخرطال الجنان علفا للماشية"[2].

لما ذكر الحبيب السائح في روايته أوجه الاستغلال للحقل فعلى غرار من يستعمله للحرث والزرع و ما يؤكل، فعند البعض الآخر يجعل من مصدر للربح السريع و كسب المحرمات كفرس الحشيشة..."وكانت تعلم أن زوجها لا يستطيع أن يمنعها مادام هو نفسه كان يبرم من الحشيشة وهو الذي جعل خادمه يغرسها بأمر منه في زاوية مهملة من أرض الجنان...وهو بعض خاصته"[3].

لقد ورد استعمال الجنان من طرف الكاتب الحظ الأوفر في روايته و ذكر محاسنه و جماله تجعل منه مكانا مفضلا لدى الجميع، والرغبة في قضاء وقته فيه وبعث السكينة في نفسه بالنظر للأشجار والتمتع بنباته واخضراره التي تذهب الحزن و البؤس و تبعث السعادة والبهجة في النفس" كنت أحيانا بعد صرنا إليه أنا و رضوان أدخل الجنان و أمشي في جنباته لأطرد قنوطي فأرى الطيور و الحشرات والنباتات ممتلئة حياة و هناء وأغبطها"[4].

3-فضاء المدينة:

[1]- الحبيب السائح، ص161.

[2]- المصدر نفسه، ص166.

[3]-المصدر نفسه، ص172.

[4]- المصدر ننفسه، ص179.

تعد المدينة على أنها ذلك الفضاء الشاسع، الذي يجري العديد من الأماكن، المتميزة عن القرية بذلك الصخب والحركة اللذان يدويان في سمائها، وما فيها من مميزات تختلف عن السكون الموجود في القرية، أما عن حضورها في الرواية– زهوة– فلم يعرج عنها الحبيب السائح كثيرا، إلا ما يحتاجه في السرد الروائي لتحقيق التماسك و ارتباط بعض الشخصيات بأدوارها المتعلقة بالمدينة، ووصف تلك الضوضاء والحركة والكتلة البشرية الهائلة التي تملئ أزقتها، "...إلى راحة المدينة صاخبة متدفقة الشوارع خلقا بشريا مثل فيضان بين ضفتين مت الفتن والمحن"[1].

"...و يجلس إلى أمه غالبا في المراح على قهوة...، فيحدثها عن المدينة وعن دراسته ومشاريعه"·

وقد ذكر أيضا الحبيب السائح في روايته على أن يوسف علم بأمر رضوان في المدينة و على كثرة النساء فيها على غرار مثيلاتها من المدن الصغيرة و القرى والمد اشر"...معاتبا على سكوته عن سؤاله أعرف أن النساء لسن هن الشيء النادر في المدينة كما الرجال"[2].

كما نجد الميزة التي يتميز بها أهل المدينة عن غيرهم وقد شخصها في الملبس والمأكل، وملامح الوجه و غيرها و يقول:"...وعن شماله اثنان من أولئك الثلاثة، في ألبسة حلا من مدينة الجزائر"[3].

لا يختلف اثنان على أن المدينة تحمل من إيجابيات تميزها عن القرية لتوفرها على إمكانيات وضروريات الحيات التي توفرها للفرد. وفي المقابل فهي لا تخلو من سلبيات ومساوئ تعكر صفوة الإنسان من جوانب عدة مما يجعله ينفر منها، وذلك راجع لعامل الحداثة والتقليد الأعمى للغرب، أو حتى بمفهوم خاطئ لما جاء من هذه الأخيرة، فنجد الروائي يشير لبعض المساوئ فمثلا جريمة الاغتيال في حق خولة،" انتظر خولة فلم ترجع من عملها

[1]– الحبيب السانح، زهوة، ص156.

[2]– المصدر نفسه، ص236.

[3]– المصدر نفسه، ص33.

في المدرسة، فسأل عنها الحارس في مساء متهجم فأخبره أنه شاهدها مشت بين رجلين لابسين صداري شرطة أركبها سيارة أقلعت في اتجاه منعرج المدينة، فبلغ مصالح الأمن"[1].

وأيضا"...و مقابل أن يكف عن اعتباره شخصا سرق منه أمه فأسكنه بأمر منها في وسط المدينة"[2].

كما لم يغفل الكاتب عن الحياة السائدة في المدينة التي يسودها التلهف وراء الأعمال والانشغال بها والديناميكية السائدة مما جعل من الفاطنين فيها يتخلون عن أنسابهم و ينسبون جذورهم وأجدادهم وأهاليهم.

"وأنه لم يبقى من نسلهما غيري وإياك ومن نسلنا نحن غبر يوسف ثم ربيعة إن لم تكن التقينا من قبل إلى جذورنا فإنا لانشغالنا بالدراسة والوظيفة"[3].

– ورغم المظاهر التي تجعل من المدينة مكان مفتوحا إلاّ أنها تجعل من الإنسان غريبا وسط وطنه رغم حرية الانتقال"...ثم ليمينا إلى أمن المدينة الكذوب و سرابها المفضي إلى عربة الروح"[4].

وهذا ما يجعل الفرد يتحسر على حياة الريف وينتابه الحنين، والرغبة في العودة إلى ماضي يستذكر فيه رحلوا. "...فلاطفهما لابد شممت رائحتها كان يحدث لي ذلك كلما عدت من المدينة إلى بيتنا في الريف"[5].

كما أن المدينة هنا قد وردت خالعة لثوب حداثتها و للرجوع إلى الماضي القديم للاستذكار ونجد أن المكان في رواية زهوة– فضاء المدينة– قد مثل له الخوف و الضياع، وزمان المدينة

---

[1]–الحبيب السائح،زهوة ، ص199.

[2]– المصدر نفسه، ص183.

[3]– المصدر نفسه، ص 183.

[4]– المصدر نفسه، ص184.

[5]– المصدر نفسه، ص 185.

يمثل له كذلك استلاب شخصية مثلما لاحظ غالبا هلسا في دراسته "فالمكان القديم بمثابة ملجأ و الملاذ الذي يحتمي به الراوي"[1].

كما نجد الراوي قد ذكر مدينة معسكر ورسم لنا صورتها بالتفصيل حتى تتجلى تلك الصورة في مخيلة القارئ، حيث تظهر تلك اللوحة أو الصورة في الرواية بقوله:" ...رأيت أني دخلت مدينة معسكر القديمة عن بابها الشرقي فعلقت راحلتي في مربط الفندق، ونزعت ثوب السفر ولبست عمامتي الصفراء و جلابتي السوداء من كتان الملف الأسود و عباءتي التحتية..."[2].

وواصل في سرد رحلته" ثم خرجت في زنقاتها المضاءة بمشاعل زيتية تجلي بين الحين و الآخر قامات عابرين خفاف أو ثقالا مسرعين أو ممهلين في ألبستهم البربرية و العربية الصوفية و الجوفية أو الأندلسية الحريرية"[3].

4- فضاء الصحراء:

لقد كانت الصحراء و رغم هدوئها، وغضبها وصفائها، وعتمتها و أمانها و غدرها فضاء جرت فيها معظم الأحداث إلا أن الروائي لم يذكرها بالكم المتوقع كفضاء تحمل رموزا تاريخية من عادات و طقوس والتقاليد. وقال كنت في زيارة إلى ابنتي في جامعة الأمير عبد القادر لأودعها قبل رحيلي إلى الصحراء"[4].

كما أن الصحراء تعرف باتساعها وأرضها الطيبة ومناظرها الخلابة مما جعل منها ترسم لوحة الانبهار و الإعجاب لزوارها، و هي مصدر للرزق و العمل. " وأخبره إن السبعاوي كان هاجر إلى صحراء الزنج"[5].

---

[1]- النابلسي شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت دار الفرابي، ط1، 1994م، ص 84.

[2]- الحبيب السائح، زهوة، ص 65.

[3]- المصدر نفسه ، ص65.

[4]- المصدر نفسه، ص69.

[5]- المصدر نفسه، 8.

كما نجد أثر الاستعمار و صمودها لمحاولة طمس معالمها الدينية والتاريخية ناهيك عن تلك التجارب النووية التي عانى من أجلها الصحراويون كثرة الأمراض.

والسرطانات، ولازالت أغراضها إلى يومنا هذا. "كما كان سببا في تشريد أهل الصحراء و تعريضهم عمدا" للتجارب النووية لاحقا"[1].

وما يمكننا القول في كل هذا أن الأماكن المفتوحة تفضي مسحة مميزة.

- دلالة المكان:

لقد وردت الأمكنة في رواية" زهوة لتحمل دلالات ومرجع تؤول إليها في الأصل، فنجد ذكر مكان ما الغاية منه استذكار ماضً أو مفرقة أو حادثة ما، ولهذا نجد بعض الأمكنة لها دلالات مختلفة فقد نجدها تدل تارة على الانتماء أو الرجوع للأصل، أو التسلية واستحضار الفرحة والأسس وتارة أخرى تحمل دلالة الألم والحزن أو كثير الحلم والنشوة والمرح، فمن الأماكن التي تحمل دلالات في رواية "زهوة" نذكر:

1- البيت:

لقد تمدّدت دلالة البيت في الرواية باختلاف العملية السردية أو الحكي وهذا ما نحاول ذكره و محاولة استخلاص الدلالة المكانية في هذه الرواية فنجد الدلالة على الأصول والذكرى حيث وردت هذه الدلالة في قوله: "حتى إذا كنا خارج السور أشارت نحو منزل منفرد ابيض بسقف من قرميد و باب براني و نافذة في الجدار المقابل لهما غربا، ونطقت" تلك دارنا فلاطفها: لابد شممت رائحتها كان يحدث ذلك لي كلما عدت من المدينة إلى بيتنا الريفي" فردت" ترعشني رعدة التذكار ياعم"[2].

[1]- الحبيب السائح، زهوة، ص88 .

[2]- المصدر نفسه، ص 88.

وتحمل أيضا – الدلالة على الحزن والفرحة"...متعللة بأنها فضلت ألا تقضي غريبة عن البيت دخلته عروساً ونفست فيه به ابنا هو ما عوضت لها العناية به عن أفدح خسارة لحقت بها جراء هجرة أبيه إياها وهو في بطنها"[1].

فكل هذا تدل عن حادثة تخللها حادثة مأساوية زد عن استحضار ذكرى الماضي من خلال مكان الإقامة والديار والذي يتجلى في قوله:" بل سرعان ما رأى نفسها انبعث في تلك الدار واحداً من أهلها إذا راح عبد النور يروي له قبل حوالي مائة وسبعين عاما كان أطفال ونساء وحريم وحوامل والشيوخ وعجائز "[2].

2. الحجرة:

تحمل هذه الأخيرة دلالات وخصوصيات تمثلت في الرغبة والنشوة العاطفية والحلم "قلما نزعت عنه العصابة رأى نفسه داخل حجرة وقفت له فيها امرأة شابة مشتهاة في لباس رقيق لا يستر جسدها إلا بقدر ما يظهر مفاتنه، خالها مسحورة تجسدت له في إحدى قصص بهيجة فأخذته من يده وأجلسته بجانبها على الأريكة..."[3]

وهي توحي أيضا للذكرى (ذكرى ربيعة لوالدها)، "وأخرجت من صدرها مفتاحا، ووضعته ساخنا في يده وقادته إلى الحجرة الرابعة: "أدخلها بهناء، كأنك هو، فضمته، فسكنت إلى صدره"[4].

وفي هذا المكان المغلق -الحجرة- سرح خياله "ثم استلقى شابكا يديه تحت رأسه فوق المخدة، وتفكر أن الآلام كبدتها أخته من قسوة سلطانة..."[5]

3-الخلوة:

للخلوة دلالات أيضا تتمثل في الفرحة والانبهار "لما كان عبد النور عاد إلى الخلوة فدخلها... وهللت له: "أنا ربيعة، أنت لابد أن تكون عمي عبد النور" وقبلته على خده واضعة

[1]– الحبيب السائح، زهوة، ص148.
[2]- المصدر نفسه، ص 8.
[3]- المصدر نفسه، ص 54 .
[4]- المصدر نفسه، ص 151.
[5]- المصدر نفسه، ص 167.

يدها اليمنى على جانب رأسه فأحناه لهل قليلا فبكت عليه، مثلما تفعل بنت تبر بوالدها فابتهج رضوان إلى يوسف الهادئ المتأمل"[1]

كما نجد روح الانتماء في فضاء الخلوة، فقال: "أنها استأذنت يوسفي الخلوة... أن يؤكد لها ولد لبوزيان من زوجته الأولى، يونس الذي ولد له الفضيل الذي أنجب عبد الباقي الذي أنجب له إدريس"[2]

4- الغابة:

لقد وردت الغابة في رواية "زهوة" على أنها المكان الذي يستدرج فيه الذكريات، ويجد فيه الإنسان راحته وضالته "فأغمض على لذة أثير من رحلته بخولة جسد الجسد فنزل غابة عذراء انفكت فيها منه..."[3]، ومشت إليه بهيجة... وحمحمت لذروة الانتشاء ثم أرخت متبعثرة"[4]

كما تدل الغابة على الكفاح ضد الاستعمار الغاشم وحرب التحرير والإرهاب "من هناك تلك الغابة المتكيفة الآن صمتها، حدث بعد ثلاثين عاما من طرد الغزاة أن نزلت فئة غاشمة ليلا فغدت بالباقين ممن كانوا حملوا السلاح لتحرير هذه الأرض التي نمشي عليها.

وأثخنت فيهم هم وأولاهم وأحفادهم ونساؤهم، ونهبت أموالهم وسبت بناتهم، ثم صعدت ملطخة الأيدي والأقدام بدمائهم"[5]

4- الإسطبل:

لقد كان الإسطبل ومنذ القدم يدل على الأصول والأجداد "عند باب الإسطبل كان الخادم قد سن حصانا مسرجا إذ تقدم منه يوسف سلمه إياه مبتهجا: "كما الأجداد! أنت تذكرني بسيدي شعيب.

---

[1]- الحبيب السائح، زهوة، ص 139 .
[2]- المصدر نفسه، ص 140.
[3]- المصدر نفسه، ص 11.
[4]- المصدر نفسه، ص 11.
[5]- المصدر نفسه، ص 22.

5-الطريق:

يعد الطريق مجالا للوصل بين الأمكنة، والذهاب والإياب وفي كل هذا يحمل دلالة الشوق والحنين، وكان هنا حنين وشوق الشخصية للأجداد "ثم نطق من تحت لثامه، بحنينه إلى دار جده تركها وراءه في بادية بعيدة" لابد فيه دفئ وأنس.[1]

وقالت لعبد النور المتأمل: "وكل هذا مسك منتزه المعتاد، كثيرا ما مشيت فيه معه، كما أنا بجنبك كأنك هو"[2]

6-الصحراء:

يعد فضاء الصحراء من الفضاءات المفتوحة في الرواية يحمل في شساعته دلالة الزهو والمرح، "...عن رحلتهما إلى توات حيث سجى في فيض أهازيج أصحاب الطبل والبارود والمنشدين في الساحة الرملية، ورددوا معهم يدل في يد لأزمة الشق تحت المنارة الشاهقة ليلة الأسبوع، وعلى سطح إحدى بيوت كنتة الطوبية المحيطة بالساحة ناما ملتحمين لآلئ سماء الأمان: "كل يوم زهوة واليوم أكثر ازه ياقلبي"

7-المقام:

ويدل على الصلة والانتساب:

"...إذ فتح الرسالة فنبع له فيها صوت "إدريس" نديمي في التذكارات وخليلي في الصمت، ما أسعدك! أنت موعود بأمر جليل في هذا المقام فيه لنا أنا وأنت ويوسف وربيعة دم ينبض بالسب إلى من وضع قاعدته الأولى على ما كان وقتها عهدا قطعه آخر أجدادنا على نفسه حتى يعلو بيت للحكمة... فلما كانت بهجتي عظيمة إذ عثرت في إحدى تلك الكتب على شجرة نسبنا، رسمها وخطها سيدي وجدي..."[3]

[1]- الحبيب السائح،زهوة، ص 17.
[2]- المصدر نفسه، ص 19.
[3]- المصدر نفسه، ص 10.

5- علاقة المكان بالشخصيات:

كما ذكرنا سابقا بأن المكان مرتبط بالوجود الإنساني، حيث كان رحم الأم هو المكان الأول الذي بدأت فيه الحياة بشكل أو بآخر،" ثم انتقل منه إلى المهد فالبيت والشارع، ثم المدرسة والمدينة أو القرية أو محل الإقامة ...الخ"[1].

فالمكان باختصار هو حاضن الوجود الإنساني، وهو العالم الأساسي الذي بفضله تتعين جوانب معينة للشخصيات في العمل الحكائي "المكان الذي يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد غنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصية والأحداث والروايات السردية."[2]

فالمكان ليس بمقدوره أن ينشأ بعيدا عن الشخصية، وبهذا فإن التأثير متبادل بينه وبين الشخصية، حيث يساهم هذا الأخير في إبراز الشخصية والتعريف بها، والروائي عند نسجه للفضاء المكاني الذي تدور فيه الأحداث يعمل على أن يكون بناؤه منسجما مع مزاج وطبائع الشخصيات، فالانغلاق الذي يميز الغرفة أو الحجرة التي يتخلى-الخلوة- فيها شخص من الشخصيات إنما هو مرتبط بمزاج الإنسان وطبيعته التي غالبا ما تتوقف مع النظرة السوداوية للحياة.

ويركز "غانسون باشلار" على علاقة الإنسان بالمكان أي حميمة المكان، فيقول "إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لامباليا ذا أبعاد هندسية فحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل إنما في الخيال من تمييز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحماية في كمال الصورة لما تكون العلاقة متبادلة بين الخارج والألفة متبادلة".[3]

وحسب قول "باشلار" فإن المكان لم يعد فقط تلك الحدود الهندسية والجغرافية بل هو أعمق من ذلك، باحتوائه الشخصية وبهذا فهما متلازمان تلازما دائما، فكل الأحداث تجري في مكان عاشت فيه الشخصية حلاوتها ومرارتها، بأفراحها وأحزانها.

---

[1]- الحبيب السائح، زهوة، ص 137.
[2]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1995، ص26.
[3]- بشلار غستون، جماليات المكان، ص31.

فالمكان حامل التجربة الإنسانية بكل أبعادها في ذاكرة كل إنسان وهذه التجربة يجسدها المبدع في كتاباته، فالمكان يتخلق بأخلاق ساكنيه ولذلك يظهر في النص كنشاط إنساني مرتبط بالسلوك البشري فهو يحمل في طياته عواطف ومشاعر وهموم وأحزان وأفراح ساكنيه، وفيه كتاب التاريخ وأرخ للإنسان، ولهذا قد عدّ كائنا حيا يمارس حركته في الخطاب، يؤثر ويتأثر بباقي المكونات السردية خاصة الشخصية.

وفي رواية "زهوة" للحبيب السائح نجد أنه جسد علاقة المكان بالشخصيات، وتقمصها للأدوار التي تجعلها تتحرك وفق الأحداث، فمثلا عند رجوع عبد النور إلى الديار قد لاحته الذكريات وغمره الحنين والشوق إلى الأيام الخوالي والزمن الجميل والأوقات السعيدة برفقة إدريس "... وأخرجت من صدرها مفتاحا وضعته ساخنا في يده، وقادته إلى الحجرة الرابعة، "أدخلها بهناء كأنك هو"[1]

ففي الرواية يكون الاهتمام بالشخصية من حيث علاقتها بالشخصيات الأخرى وبالمحيط الذي تعيش فيه وتقضي معظم أوقاتها فيه، فالشخصية هي عمود الرواية، أي يبني عليها العمل الروائي بشكل عام، ويقوم الراوي برسم الشخصيات الروائية ويدعها تردي قصتها في القيام بدورها والتعبير عن آرائها ومشاعرها مما يتسنى للقارئ التعرف على ملامحها وملامح كل شخصية في الرواية والعلاقة القائمة بينهما.

"وبنظرة واهنة، شمل بندقية الصيد، كما وضعها آخر مرة في جرابها الجلدي بعد تنظيفها، وما سلم من براثن الاندثار من مخلفات الكتب أيضا"[2]، "... وما حتمت الضرورة إضافة من أثاث زاهد امتلأت به الخلوة التي دخل في صمتها"[3]

إن هذا التصور للخلوة يحيلنا إلى نفسية الشخصية وشعورها باقتراب أجلها ويتجلى ذلك في تفقدها للمكان وما يحيط به والأثاث الذي كانت تستعمله في شبابها مما جعل هذه الخلوة مكانا موحشا.

"... كنت أحيانا بعد أن صرنا إليه أنا ورضوان أدخل الجنان وأمشي في جبانته لأطرد قنوطي فأرى الطيور والحشرات والنباتات ممتلئة حياة وهناء فأغبطها"[1] فمن خلال تصوير

---

[1]- الحبيب السائح، زهوة، ص151.
[2]- المصدر نفسه، ص6.
[3]- المصدر نفسه، ص6

مشهد ربيعة في الرواية و هي تتجول في جنبان الجنان، وتأملها للحياة المليئة بالهناء والسعادة فتغبطها على هذه الحياة التي كانت تعيشها من قبل، فالجنان هذا قد ساعد الشخصية على إستحضار الأيام السعيدة الجميلة التي مرت عليها. فمما لاشك فيه أن وصف المكان وعلاقته بالشحصية أدي ألي تولد علاقات عديد بينهما،فنجد مثلا العلاقة الغير الشرعية . بين سحنون و سلطانه الخائنة لزوجها في بيت العايب "وقد كان كان سحنون في انتظار سلطانة، فأعطته ما وعدته "[2].

كما "لإدريس" في الرواية مكانة مقدسة و عظيمة لدي الشخصيات الأخرى،ويري بأنه شخصية إنسانية حكيمة ومتدينة، وهو يمثل المثل الأعلى والرجل الصالح الذي يستحق الوقار ويحتذي به، إلى درجة أنه يترأى في المنام في هيئة قريبة من الملك الأسطورة ، "...رواية له،انها قبل ليلة رأت نفسها واقفة عند نافذتها فظهر لها سيدهما في لباس أبيض، كما كان يترأى لها في منامتها،فوق غمامة عابرة فباركت له الأغراس برؤسها وأشرقت له باورات الندى وحامت حوله طيورالحمام أسرابا وعند الشفق توفق فرفع يديه نحوها وعاب ".[3]

فهذه القوة التي تمتلكها الشخصية في الرواية قد مثلت السلطة المعنوية فيها، جاذبة إليها الشخصيات التي جعلت من "إدريس" مركز اهتمام و إجلال حتى عند ذكر اسمه وأقربه، وهو بعض الأمثلة التي تبين عظمة هذه الأخيرة لدى الشخصيات الأخرى" خبرها أن الرجل الثاني هو الأستاذ عبد النور أخو سيّدها إدريس عمّ سيدها يوسف"[4] ، وقال أيضا " الله! لسيدنا إدريس شقيق ؟"[5] إدريس هو الذي أمنني على هذه الرسالة أيضا كما على السجلات"[6] و " كنت قد بلغت اللاسلطانة أنّ اللاربيعة زارت اللاعالية أم كوثر مع شخص غريب، لم أكن أعرفه أنه عم سيّدي يوسف" [7]

---

[1]- الحبيب السائح،زهوة، ص 265.
[2]- المصدر نفسه،ص265.
[3]- المصدر نفسه، ص183.
[4]- المصدر نفسه، ص250.
[5]- المصدر نفسه، ص250.
[6]- المصدر نفسه، ص202.
[7]- المصدر نفسه، ص250.

وأيضا " كل شيء فيك هو من والدك رحمة الله على سيّدي ، كان بحنانه يدفئ قلوبنا أحببناه وأحبّنا كأبنائه"[1]

وقد كان لخولة أن تركن

منامه، فمرت داخلة عليه، وتارة يتحسسها بجانبه" ... هامسا له: "... تماثيل كثيرة من الجبس والبرونز ومن المرمر لحضارات مختلفة فقد أقيم لخولة صرخا من القصائد لكن الشّر خذلني"[2]

فعمق الكاتب في خيال الرّدج وقال " فأغمض على لذة من رحلته بخولة جسدا لجسد...."[3]

وأيضا" ثانيا رجليه إلى الداخل مرضوض النفس بصهيل شوق حافر خولة التي كان قد فقدها قبل سبعة أعوام فغفى على دفئ نار الكانون"[4]

وأحس بأصابعه تاهت على بشرة خولة ، إذ مرّ يوسف خفيفا بأطراف أنامله على الصفحة ....[5]

وفي خضم كل هذا فقد تجسّدت أحقية المكان على الشخصية وعلى أنها حقيقة يعيشها الإنسان ويتعايش معها، وزد عن ذلك أنه لعب دورا بارزا في تصوير الشخصية وطبائعها وملامحها، أضفى عليها مسبحة الوضوح في الرواية بإعطائها الروح الوجودي والهوية، فالعلاقة بين المكان والشخصية إذن هي علاقة تأثير وتأثّر أو تلازم.

---

[1]- الحبيب السائح، زهوة، ص253.
[2]- المصدر نفسه، ص17.
[3]- المصدر نفسه ، ص11.
[4]- المصدر نفسه، ص12.
[5]- المصدر نفسه، ص16.

خاتمة

في ختام هذه الدراسة التي تمثلت في الوقوف على شعرية المكان في رواية "زهوة" لمؤلفها "الحبيب السائح" والذي يبرهن ويبين لنا على أنه اولى إهتماما كبيرا عن غيره من الأدباء بالمكان الذي شغل أقدام النقاد المعاصرين، وباعتبار هذا الأخير عنصرا أساسيا ومكملا يقوم عليه أي عمل أدبي، وقد أعطى له طابعا خاصا في روايته فهو الذي جعله يحتوي على كثير من الثنائيات الضدية أو المتناقضات التي تحمل جملة من الدلالات يتوصل إليها القارئ بعد الغوص في حيثيات الرواية، ونجد المكان قد شغل الجزء الأكبر من عمله، ويبدو لنا أن المكان تأثر بالزمن الذي حل عليه وغير ملامحه وتأقلم معه، كذلك أثر المكان على الشخصيات وغير مجرى حياتها خاصة النفسية، وجعله جزء يرتبط به ارتباط الحياة بالماء.

المعروف عن المكان أنه وسيلة للعودة إلى الماضي واستحضار الذاكرة الفردية والجماعية، فالمكان الروائي في رواية "زهوة" للسائح لم يكن بناؤها مجانيا، إنما كان ذا حضور طاغ وفعال في هذا النص الروائي بسبب حسن اختيار الأنظمة الصوغية التي انبنى المكان عليها، وهي التي منحته هذا الحضور المتميز فتنوعت دلالات المكان للرواية، فمنها الدالة على العبادة والحرية الدالة على العادات والتقاليد.

ومنه فالروائي "الحبيب السائح" استطاع بفضل تجربته الحياتية واتجاهه الفكري أن يسقط رؤيته الفكرية على المكان مخضعا إياه لحركة الذات المبدعة، وتجلى لذلك مستويات دلالية عدة تحددها السياقات الحكائية، وتكشف في الوقت نفسه عن مدى إحساس الروائي بالمكان.

ومن أهم الثمار التي جنيناها من جنان هذه الدراسة:

- زهوة هي رواية المكان بامتياز ذلك أن لغة الرواية تصدر من ملائمة الحال مع المقام، وهي أيضا تصدر من علاقاتها بالمكان الذي يحمل مختلف أنواع العاطفة التي يكنها الإنسان لها.

- إطلاقا من تحديد حركة الشخصيات، داخل الفضاء المكاني، استطعنا الاستنتاج بأن العلاقة بين الشخصيات والمكان تعددت الحدود الشكلية، حيث لم يعد المكان إطارا خارجيا لتنقلاتها وإقامتها بل تجاوز ذلك ليصبح معادلا موضوعيا لنفسيتها واتجاهاتها وسلوكياتها.

- الكاتب في هذه الرواية سمى بلغتها فتجاوز بذلك لغة الكلام اليومي، فلغة الرواية لا تقف عند الإيصال والإخبار فحسب، بل تعتمد تشكيل فضاء أدبي مختلف وتحاول إخراج القارئ من مفهومه الواضح والسطحي وإدخاله إلى أغوار النص وعوالمه المتعددة، فحسب "الحبيب السائح" أنه على القارئ أن يسموا بفكره ليفهم محتوى ومغزى الرواية على الرغم من أن المكان في أحايين كثيرة نجده يصطبغ بألفاظ رطبة وجمل حريرية فهذا لا يقدم شيئا لأبعاد المكان وللجمالية والإبداع، أن التوظيف الذي يجعل المكان جزءا لا يتجزأ من بنية النص، وماهيته هو الذي يقودنا إلى فضاءات مفتوحة، ما يجعل القارئ يفهمها ويفتح مجالا ليتحول إلى مبدع ثان.

- مثلما تنوعت أشكال المكان وأنماطه، تنوع المكان الطباعي، فكان العنوان بمثابة أيقونة دالة حيث حمل مضمون النص دون أن يفصل وينوه مكوناته وشكل جسما للعبور إلى ثنايا الرواية، فاتحا أمام القارئ باب التأويل ومحفزا له لاكتشاف المضمون، وهذا ما يفسر اهتمام الكاتب باختياره وعنايته الفائقة بأحداث توافق بينه وبين النص.

- اهتم الكاتب بالتراث الجزائري والتاريخ فقد تحدث في روايته هذه عن المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر من ثورة التحرير إلى حالة الجزائر بعد الاستقلال ما يعرف بالمحنة الوطنية، وأضاف الكاتب أن أسماء الرواية هي أسماء قديمة مستوحاة من التراث الجزائري.

- لقد أدركنا الدور الهام الذي لعبه المكان في بناء العمل الروائي من خلال رواية "زهوة" وذلك بتجاوز فكرة أن المكان أنه مجرد وصف سطحي أو مجرد ديكور للرواية وإطار للأحداث فقط.

- إن رواية "زهوة" هي رواية تدعوا إلى التفاؤل ونسيان كل ما هو محزن والبعد عن التشاؤم فقد كانت مبنية إلى "الحبيب السائح" منعرجا في كتابته ونلمس هذا التغيير من خلال عنوان الرواية "زهوة" بمعنى الدعوة إلى الفرح والاحتفال، ففي بداية روايته كان متشائما من الوضع السياسي والاقتصادي للبلاد، وجسد هذا التشاؤم في رواية " زمن النمرود" (أي زمن الطغاة المفسدين في البلاد) وغيرها، هذه الأخيرة ألحقت به الكثير من المضايقات والمشاكل وصلت حتى التهديد بالقتل، وهذا بسبب جرأته على خرق الصمت عن المحظور سياسيا وأخلاقيا، وهذا ما جعله يغير نمط حياته وكتاباته فذهب إلى الأقاصي في البحث عن الطبيعة والتأمل فيها وفي شعوبها، فقد بدل نظرته للحياة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

ـ المصادر:

1ـ ابن منظور، دار صادر، بيروت،(د، ن، ت)، (د، ن، ط).

2ـ المنجد في اللغة والإعلام، ط3، دار النشر، بيروت، 1986.

3ـ الحبيب السائح، زهوة، دار الحكمة، الجزائر، 2011.

ـ المراجع:

1ـ أحمد حسن يسبخن شرح ديوان ابن الرومي، دار الكتب العالمية، بيروت، جزء6، 1994.

2ـ أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثُلاثية نجيب محفوظ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

3ـ أحمد هيكل، تطور الأدب، الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع، لقيام الحرب الثانية الكبرى،دار المعارف، القاهرة، دط، 1994.

4ـ إبراهيم عباس، تقنيات الرنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 2002.

5ـ إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، المؤسسة الوطنية للكتاب.

6ـ إدريس بودية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر والطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة.

7ـ أيوب بن موسى الجيني الكوفي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تر عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، دط، 1981.

8ـ الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب، ط1431،1هـ، عمان، الأردن.

9ـ السعيد بيومي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة، جامعة الإسكندرية، دط،1982.

10ـ برديافـ نيقولاي، العزلة والمجتمع، ترجمة فؤاد كامل، مراجعة على أهم دار الشؤون

الثقافية، بغداد، دط، 1986.

11- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.

12- حسن نجمين شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية- دراسة نقدية- المركز الثقافي العربي، 2000.

13- حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج، المركز الثقافي، لبنان، 1994.

14- حميد الحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2000.

15- حميد الحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1999.

16- سمير رومي الفيصل، بناء الرواية العربية السورية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ط1، 1995.

17- سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

18- شاكر النابلسي، دراسة في أدب عبد الرحمان منيف، ط1، دار الصحافة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1995.

19- صلاح صالح، دراسة المكان الصحراوي في رواية "فساد الأمكنة"، مجلة الفصول، مصر، العدد الثالث، 1992.

20- عبد الرحمان الشرقاوي، دراسة في الأدب، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، دط، 1995.

21- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية نحت في تقنيات السرد، عالم المعارف، القاهرة، ط3، 1976.

22- عزيزة مريد، القصة الرواية، دار التفكير، بيروت، دط، 1980.

23- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1976.

24- عمر بملفتى، بناء المكان في الخطاب الروائي، نوار اللوز، للأعرج واسيني، مجلة التواصل.

25- غاستون باشلار، جمالية المكان، تر هلسا، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 1980.

26- طه وادي، دراسة في نقد الرواية، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994.

27- طه وادي، مدخل ألى الرواية المصرية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 1997.

28- فاطمة موسى، الأعمال الكاملة في الرواية العربية المصرية للكتاب، مصر، ط2، 1997.

29- ماهر عبد القادر، محمد علي، فلسفة العلوم المعرفية، دط، د تح .

30- ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، تح، يوسف حلاق، وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

الفهرس:

مقدمة ..... أ،ب

مدخـــل:..... 2

الفصل الأول : المكان في الخطاب

أ- مفهوم المكان لغة..... 7

ب- اصطلاحا 8

2- الفضاء

2-1- مفهوم الفضاء..... 13

2-2- الفضاء الجغرافي 13

2-3 - فضاء النص 13

2-4 - الفضاء الدلالي 14

2-5- الفضاء كمنظور 14

2-6- الفضاء الروائي..... 14

3- الوصف والمكان 15

3-1- تعريف الوصف..... 15

3-2- وظائف الوصف..... 16

3-2-1- الوظيفة التفسيرية..... 17

3-2-2- الوظيفة الإبهامية..... 17

3-2- 3- الوظيفة الجمالية..... 17

3-3- وصف المكان..... 17

4- أهمية المكان في العمل السردي 19

4- أهمية المكان في العمل السردي 19

5- علاقة المكان بالشخصيات والزمان 19

ب ـ علاقة المكان بالزمان..... 21

الفصل الثاني : أنواع الأمكنة في رواية زهوة ودلالتها

دراسة التصميم الخارجي للرواية..... 25

1 ـ التصميم الخارجي للرواية..... 25

2- ملخص الرواية 28

3- أنواع الأمكنة في رواية زهوة 31

4- دلالة المكان 52

5- علاقة المكان بالشخصيات 56

خاتمة 60

قائمة المصادر والمراجع

تـــــــمّ بحمـــــــد اللّـــــــه